وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قطب شتمة

قسم العلوم الإنسانية

شعبة تاريخ

عنوان المذكرة

مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء الجزائرية وأثره في دعم الاستعمار الفرنسي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر تخصص تاريخ معاصر

إعداد الطالبة: **شافية حميدية**

الأستاذ المشرف: **أ. كمال مسعودي**

السنة الجامعية: 2016-2017م

قال الله تعالى:

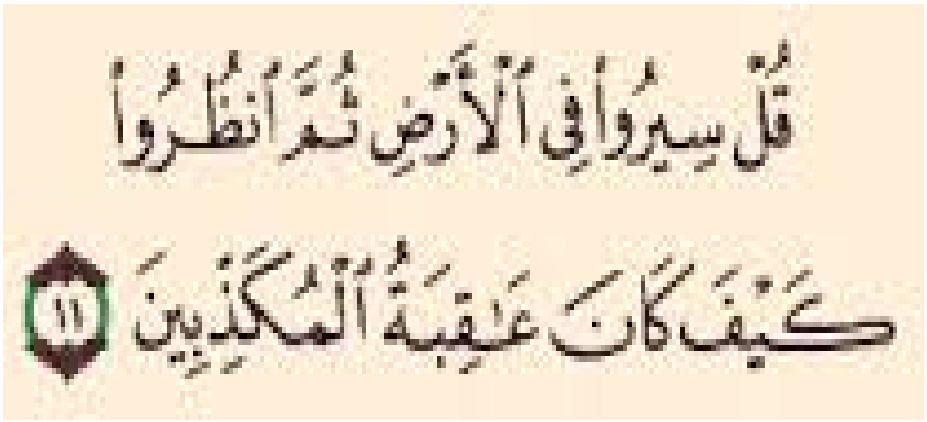

سورة الأنعام، الآية: 11

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع..

إلى الشهداء الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم وكل غال ورخيص في سبيل الوطن..

إلى الذين غمراني بحبهما وحنانهما وتعبا لراحتي والدي الكريمين أمي الغالية وأبي الحنون أطال الله عمرهما وجعل الرضا يغشاهما.

إلى جميع أفراد عائلتي الكريمة وإخوتي حمزة، عبد الرؤوف، بدر الدين، محمد الطاهر، حواس، عيسى، أكرم، ربيع ، شهد، أروى، إسلام، أمير، زياد..

الذين لم يبخلوا علي بمساعدتهم ودعمهم لي خلال مشواري الدراسي؛ وإلى أعمامي وأخوالي وعماتي وخالاتي ولهم كل التقدير والاحترام.

كما أهدي هذه المذكرة إلى روح عمي (نوار) وجدتي (مبروكة) رحمهما الله..

وإلى كل صديقاتي وزملائي في التخصص..

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذه المذكرة.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتنزل البركات، نحمده ونشكره على جميع نعمه ونسأله المزيد من فضل كرمه.

أتقدم بوافر الشكر وجميل التقدير إلى الأستاذ المشرف كمال مسعودي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته العلمية، وإرشاداته المنهجية، وله منا كل التقدير والاحترام.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى جميع أساتذتي الكرام الذين زرعوا فينا روح البحث والمثابرة طيلة مشوارنا الدراسي: نصر الدين مصمودي، شهرزاد شلبي، بنادي، علي آجقو، أمير بوغدادة، بلقاسم ميسوم، لزهر عقيبي، بوطارفة ...

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى أستاذي الكريمين الفاضلين: الأستاذ والأب رضا حوحو؛ والأستاذ عز الدين بالطيب العقبي..

وكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

أنتم جميعا تقبلوا **مني** فائق شكري وامتناني.

بطاقة الفهرسة

شافية، حميدية

مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء الجزائرية وأثره في دعم الاستعمار الفرنسي/ حميدية شافية، مذكرة ماستر، تاريخ معاصر (د. م) – صفحة، 21 سم، ملاحق، بيبلوغرافيا+ صور + خرائط

الخط العابر// المقاومات// الاكتشافات// المشاريع الفرنسية

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات العربية والأجنبية

تح: تحقيق	ط: طبعة
تر: ترجمة	ط. خ: طبعة خاصة
ج: جزء	ع: عدد
د. د. ن: دون دار نشر	م: ميلادي
د. س. ن: دون سنة نشر	مج: مجلد
ص: صفحة	هـ: هجري
P: page	Op. cit: operato citat
N: numero	S d: sans date
المرجع السابق: ibid	

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وعرفان

بطاقة الفهرسة

المستخلص

قائمة المختصرات

فهرس المحتويات

مقدمة ص: أ–ط

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في بدايات الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية إلى غاية 1916م ص: 11

أولا: الأوضاع الاقتصادية ص: 11

ثانيا: الأوضاع السياسية ص: 14

ثالثا: الأوضاع العسكرية ص: 18

رابعا: الأوضاع الاجتماعية

الفصل الأول: الدراسات والكشوفات الفرنسية لصحراء الجزائرية

تمهيد: ص: 26

الأبحاث المنجزة ص: 28

أولا: أبحاث ل: أ. كات (E. Cat) رحلة عبر الصحراء ص: 30

ثانيا: أبحاث السيد أغسطس شاربونو (M. Cherbonneau) ص: 34

سلاطين توقرت

ثالثا: إيزابيل ايبرهارد ص: 39

الفصل الثاني: تفاصيل دراسة مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء ص: 42

أولا: فكرة ودراسات إنجاز هذا المشروع ومؤسسه ص: 43

تمهيد ص: 43

ثانيا: مخططات مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء ص: 50

ثالثا: أسباب ودوافع فرنسا من إنجاز الخط الحديدي العابر للصحراء ص: 57

رابعا: أهداف ونوايا فرنسية تنفيذ هذا المشروع ص: 60

الفصل الثالث: المعوقات التي حالت بين فرنسا وبين تنفيذ هذا المشروع ص: 63

تمهيد:

أولا: المعوقات الطبيعية ص: 64

ثانيا: المعوقات المالية والاقتصادية ص: 66

ثالثا: المعوقات السياسية والسوسيوثقافية ص: 67

رابعا: أسباب فشل دراسات الباحثين لهذا المشروع وعدم الاهتمام بها ص: 71

الخاتمة ص: 75

الملاحق ص: 77

البيبلوغرافيا ص: 92

مقدمة:

عملت السياسة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر وفق *استراتيجية مدروسة* تتمثل في غرس وإبقاء *الفكر الاستيطاني*، فخلقت مناهج وأدوات ووسائل من أجل تحقيق جملة من الأهداف فصاغت لذلك شروطا قانونية ومادية لإضفاء الصبغة الشرعية على هذا الوجود، هدفها تدمير البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري، تعطى فيها الأولوية للأقلية الأوروبية بهدف سلب المستوطن للأرض، وفق اقتصاد قائم على دمج الكيان الجزائري في النشاط الاقتصادي الأوروبي، مما أحدث القطيعة داخل الكيان ذاته كنتيجة حتمية لتغلغل الرأسمال الفرنسي الأوروبي الموجه لخدمة السوق الأوروبية وتهميش المجتمع الجزائري، فسلبت منه مقوماته وإنسانيته.

لطالما راودت فرنسا –حكومة وشعبا– فكرة ***جعل الجزائر مستوطنة فرنسية***، وإلحاق الجزائر بفرنسا، لما تتوفر عليه من موارد اقتصادية وإذا عدنا إلى الطرف المستعمر فنجد دائما أن كلمة الاستعمار مقرونة بالتحضر والتمدن فكأنما الاستعمار إذن إنجاز إنساني يرمي إلى عصرنة المجتمعات. فحسب *أحد غلاة الاستعمار أنه بفضل الاستعمار، تم تزويد الجزائر بعدة إنجازات من الطرق وقنوات صرف المياه ومد الخطوط الحديدية وتزويد المدن بالكهرباء وبناء المدن وغير ذلك.*

فمع سنة 1850 شرع في إنجاز مشاريع ضخمة، وبناء الطرقات والسدود سنة 1854م، ومد شبكة السكك الحديدية عام 1857م وغيرها من شبكة الطرقات البرية المختلفة.

تبدأ هذه الشبكة من مصادر المواد الأولية من معادن وثروات طبيعية ومنتجات فلاحية وتنتهي هذه الشبكات والطرقات بالموانئ من أجل ربط الجزائر بفرنسا في مجال الاستيراد والتصدير.

وقد شهدت عملية توسيع وشق الطرقات نشاطات كثيفة اقترنت بزيادة المهاجرين الأوروبيين لفرض السيطرة وإحكامها أكثر على الجزائر، فغدت الطرقات ومشاريع خطوط السكك الحديدية السلاح القوي للتغلغل الاستعماري.

ومع سنة 1857م، تبنت الإدارة الاستعمارية برنامجا يهدف إلى تجهيز السكك الحديدية وكلفت الامبراطورية شركة: (Paris- Lyon – Méditerranée): باريس – ليون – المتوسط، بإنشاء عدة مشاريع لخطوط السكك الحديدية، مثل الخط الرابط بين وهران والجزائر والآخر سكيكدة وقسنطينة وعنابة وسيدي بلعباس – معسكر – شلف – سطيف وبسكرة – ورقلة وغيرها من المدن.

وفي عام 1892م، بلغ طول هذه الشبكة في الجزائر 3033 كيلومترا، مما أدى إلى نمو الأسواق خاصة الداخلية منها نتيجة حركة النقل السريعة إلى جانب نمو الرأسمال الأوروبي، فالسكك الحديدية تكشف عن الوجه الحقيقي للاستعمار القائم على الاستغلال وتزويد الاستعمار الموارد الأولية، وهو دليل واضح في الكشف عن السياسة الاقتصادية لفرنسا في الجزائر القائمة على السلب والنهب.

لذلك رأت فرنسا أنه لا بد من تحقيق أطماع وأهداف أخرى تجعلها أكثر سيطرة وتحكما في المجتمع الجزائري لاستغلال خيراته وغلاته فسال لعابها على خيرات الصحراء وما تمتلكه من مواد أولية وطاقوية ومعادن نفيسة التي رأت فيها منفذا كبيرا لتحقيق أغراضها الاستعمارية الاستغلالية وأكبر طريق لتحقيق أطماعها حيث توغل الاستعمار في الجنوب، فعمل على التنقيب عن مصادر المياه كما عمل على تطوير نظام السقي وشق بعض الطرقات، وهذه بداية للاستعمار الفرنسي في الصحراء وإقامة بعض الخطوط الحديدية، ذلك من أجل تحقيق أهداف كبيرة واستقطاب العدد الهائل من المعمرين للشروع في استغلال ما يوجد في باطن الصحراء من ثروات ومعادن من شأنها أن تجعل فرنسا أكبر سوق أوروبية، ولذلك لا بد من إنجاز أكبر عدد من الطرقات ومد خطوط السكك

الحديدية، وذلك ما يسهل عليها نقل البضائع والمواد التي تحتاجها، وتسهيل عمليات تنقل قواتها العسكرية.

حيث رأت فرنسا سيطرتها الداخلية على الجزائر من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، تفرض عليها تعزيز سيطرتها الخارجية لتأمين هذه السيطرة الداخلية، فزاد طمعها على ما وراء حدود الصحراء الجزائرية مثل تشاد ومالي ونيجر وسنغال وصومال وغيرها لاستكمال هذه السيطرة.

وأن تكون أكبر رابح لا بد من إقامة منفذ يؤمن هذه السيطرة لذلك اقترحت مشروعا ضخما يتمثل في مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء الذي يعد من أكبر المشاريع التي خططت لها فرنسا في الجزائر، حيث سخرت له إمكانيات بشرية ومادية كبيرة لتحقيق هذا المشروع الضخم والكبير.

حيث ظهرت فكرة *مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء* على غرار الخطوط العابرة للقارات كالخط العابر لكندا الذي أنجز ما بين (1878–1886م)، والخط العابر لسيبيريا ما بين (1891–1898م)، فتبلور إذن هذا المشروع على ضوء تجارب الآخرين، غير أن أبوية مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء ترجع *إلى المهندس "دي دبونشال"* (De Dupanchle) الذي قدم الدراسات الأولى منذ 1874م، أشار فيها إلى أن فتح هذا الخط يسمح لفرنسا عبر الجزائر بالتوغل داخل الأوطان السودانية والاستحواذ على التجارة الإفريقية وربط بقية مستعمراتها الإفريقية وراء الصحراء بالجزائر، وهنا تصبح فرنسا مسيطرة ومتربعة على السوق الأوروبية من خلال هذا المشروع.

إشكالية الموضوع:

رأت فرنسا في مشروع الخط العابر للصحراء الجزائرية وسيلة فعالة للتوسع الاستعماري، سياسيا وعسكريا، حيث يجعل منها مسيطرة ومربعة على الجزائر وبقية مستعمراتها الإفريقية، ومن ثم استحواذها على التجارة الإفريقية.

ولبحث ودراسة هذا الموضوع يمكن أن نطرح الإشكالية التالية:

* ما هي نوايا واستراتيجية إنشاء مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء الجزائرية؟ وما أثره في تدعيم السلطة الاستعمارية؟

التساؤلات الفرعية:

تحتاج الإشكالية المطروحة إلى تفريع مما يستوجب طرح عدة تساؤلات فرعية تساعد وتسهل لنا عملية البحث في هذا الموضوع:

* ما هي الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للصحراء قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

* ما هي أهداف وأسباب فرنسا من إنجازها هذا المشروع؟

* ما هي أهم أعمال التنقيب والكشوفات الاستعمارية للصحراء الجزائرية؟

* ما هي أهم العراقيل التي واجهت فرنسا في إنجاز هذا المشروع؟

أسباب اختيار الموضوع:

منطلق اهتمامي بهذا الموضوع "الخط الحديدي العابر للصحراء" يرجع أساسا إلى عدة عوامل يمكن إيجازها فيما يلي:

* ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، فالدارس لما كتب ونشر عن الخط العابر للصحراء يلاحظ هي معلومات سطحية وقليلة عن هذا الموضوع، وجل الكتابات حول هذا الموضوع أغلبها باللغة الفرنسية، كذلك أن الصحراء لم تنل حظها من الدراسة والكتابات لأن جزءا من تاريخها بقي مغمورا.

* محاولة الوقوف والتعرف على هذا الموضوع وأسباب فرنسا من إنجاز هذا المشروع.

* تسليط الضوء على رؤية ورغبة فرنسا من إنجاز هذا المشروع وتحقيقه على أرض الواقع ذلك لأهمية هذا المشروع لتحقيقه أهدافها ومصالحها.

* معرفة أهم العراقيل التي وقفت أمام فرنسا التي حالت دون إنجاز هذا المشروع.

* أن البحث في موضوع الخط الحديدي العابر للصحراء يعطي للباحث فرصة سانحة للإحاطة والتعرف على سياسة المشاريع الفرنسية بالجزائر.

* البحث عن سبب اهتمامات الفرنسيين بالصحراء الجزائرية من خلال بعثات وحملات استكشافية للصحراء.

* ووجود رغبة شخصية في دراسة هذا الموضوع لأهميته والتعرف على اهتمامات الاستعمار الفرنسي بالصحراء الجزائرية وأطماعهم فيها.

منهج البحث:

وكأي بحث وموضوع علمي وللإجابة على تلك الإشكالية التي تتمحور حولها عدة تساؤلات، لا بد من اتباع منهج علمي وطريقة علمية لدراسة هذا الموضوع، ومن هنا يمكن تعريف المنهج العلمي، حيث أن المنهج هو نظام وقواعد وخطوات وطرق مختلفة يتبعها الباحث من أجل تحصين المعارف وفهمها وتأويلها.

ومنها اعتمدت في دراستي على ثلاثة مناهج:

* المنهج التاريخي: حيث استخدمته في جمع المادة العلمية من خلال الكتب والمصادر والمراجع.

* المنهج الوصفي: الذي استخدمته في سرد الأحداث الواقعية ووصفها وتسلسلها تسلسلا كرونولوجيا في الزمان والمكان، فالموضوع يتناول رصد الأحداث والأوضاع للصحراء الجزائرية قبيل دخول الاستعمار الفرنسي للصحراء، ويتضمن بعض المعارك لأهل الجنوب وفيه وصف لبعض اهتمامات الفرنسيين بالصحراء الجزائرية من خلال الكشوفات.

* أدوات البحث والتفسير والتحليل: حيث استخدمتها في دراسة المادة العلمية من خلال جمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة تفاصيل إنجاز هذا المشروع وأسباب فشله، ثم دراسة هذه المعلومات وتحليلها من أجل الوصول إلى حقائق موضوعية حول هذا الموضوع.

ولطبيعة الموضوع اخترت له خطة على النحو الآتي: مقدمة وفصل تمهيدي للموضوع وثلاثة فصول وخاتمة ومجموعة من الملاحق.

ففي الفصل التمهيدي: "الأوضاع العامة للصحراء في بدايات الاحتلال الفرنسي"، تناولت فيه أهم الأوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية للصحراء في أواخر العهد العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي للصحراء وأهم الأحداث والأوضاع السائدة كما تطرقت إلى أهم المقاومات التي ثارت في الصحراء المعادية للتوسع الفرنسي والرافضة لسياسة المشاريع الفرنسية.

* أما الفصل الأول: "الدراسات والكشوفات الفرنسية للصحراء الجزائرية"، حيث تتبعت في هذا الفصل أهم اهتمامات الباحثين والدارسين والمستكشفين الفرنسيين للصحراء الجزائرية وبعض الأبحاث المنجزة من طرف الباحثين.

* أما الفصل الثاني: تفاصيل دراسة مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء"، الذي يتضمن تفاصيل إنجاز هذا المشروع من خلال الدراسات ومؤسسي هذا المشروع وفكرة ظهوره، ومخططات هذا المشروع، وأسباب وأهداف فرنسا من وراء إنجاز هذا المشروع الكبير.

* أما الفصل الثالث: تحت عنوان "المعوقات التي حالت بين فرنسا وبين تنفيذ هذا المشروع"، الذي تناولت فيه أهم العراقيل التي واجهت فرنسا لإقامة هذا المشروع على أرض الواقع والتي كانت متعددة منها الطبيعية والمالية والسياسية وفشل الباحثين أنفسهم القائمين على هذا المشروع، ولكن أهمها هو مواجهة سكان الصحراء لهذه المشاريع وخاصة من طرف التوارق الذين ترجموها بعدة معارك كانت سببا في فشل فرنسا.

* وأنهينا موضوع البحث بخاتمة كانت حوصلة للموضوع وتضمنت بعض النتائج المتوصل إليها وهي بمثابة الإجابة عن تساؤلات إشكالية الموضوع،

وقائمة للمادة المعتمدة من مصادر ومراجع ومجموعة من الملاحق تمثلت في بعض الوثائق الخاصة بالموضوع والصور لبعض المناطق الصحراوية ومستكشفين وبعض الخرائط.

واعتمدت لإنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر نذكر منها:

عبد القادر ميهي: اهتمامات الفرنسيين بالصحراء الجزائرية، الذي اعتمدت عليه في الفصل الثالث من خلل كتابات واهتمامات الفرنسيين والباحثين حول الصحراء الجزائرية، ومقدمة مذكرة شارل فوكو الذي تكلم فيها عن الكشوفات الفرنسية للصحراء ومقاومة المناطق الصحراوية للاستعمار.

ورحلة الناصري ورحلة العياشي، التي تكلموا عن الصحراء وأوضاعها من خلال رحلتيهما وهذا في الفصل التمهيدي للأوضاع العامة للصحراء الجزائرية.

ولقد كان اعتمادي على هذه المصادر أساسيا لا سيما في الكشوفات ودراسات الفرنسيين للصحراء.

* أما المراجع فهناك كتب ومجلات ومقالات وبعض المعاجم والأطروحات والرسائل الجامعية التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع، والتي تعددت وتنوعت، وقد تميز بعضها بالدقة والتحليل لسرد أهم الأحداث والأوضاع في الصحراء الجزائرية والبعض منها تميز بذكر موضوع الخط العابر للصحراء وهي مراجع سهلت لي الطريق لإنجاز هذا البحث أذكر منها على سبيل المثال: إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م، يحيى بوعزيز: تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها حيث اعتدت على هذه المراجع الثلاثة من خلال تكلم هذه المراجع عن مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء وكيفية دراسة الاستعمار الفرنسي لهذا المشروع.

التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية: مقاومة الشريف بوشوشة. احميدة عميراوي: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م، ناصر الدين الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني. العربي منور: تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، الهادي درواز: الولاية السادسة التاريخية تنظيم وقائع 1954م وكذلك إبراهيم مياسي: التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م). أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1854م.

حيث تنوعت هذه المراجع حيث تكلمت عن أوضاع الصحراء ومقاومة أهل الصحراء ورفضها للتوسع الاستعماري وكذلك اعتمدت عليها من خلال ذكرها لبعض

المستكشفين الفرنسيين والتعريف بهم وأغلبها كانت في الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في بدايات الاحتلال الفرنسي للصحراء والفصل الأول: الدراسات والكشوفات الفرنسية للصحراء الجزائرية.

وفي الأخير لعلنا باجتهادنا نكون قد أمطنا اللثام بعض الشيء عن مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء ومعرفة فكرة عن هذا المشروع ولو حتى إن كانت قليلة، وهكذا فإننا لم ندخر جهدا ماديا ولا معنويا في سبيل الإلمام بمادة الموضوع، إلا أنها واجهتنا بعض الصعوبات في جمع المادة العلمية وهذا راجع إلى ندرة الدراسات حول هذا الموضوع وحتى وإن كان البعض من تناول هذا الموضوع جلها كانت باللغة الفرنسية فواجهتني صعوبة كبيرة في ترجمة المادة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع وقلة المترجمين، والوقت الذي تأخذه هذه الترجمة.

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في بدايات الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية إلى غاية 1916م

أولا: الأوضاع الاقتصادية

ثانيا: الأوضاع السياسية

ثالثا: الأوضاع العسكرية

رابعا: الأوضاع الاجتماعية

1. الوضع الاقتصادي:

لما كانت حياة القبائل البدوية تقوم على الترحال الدائم بحثا عن الكلأ والمراعي الجديدة باتجاه المناطق التلية، مما شجع الاتصال البشري فوجد الحكام فرصة للتقرب من أهالي الجنوب المتجهين إلى التل لتوطيد العلاقة والبحث عن عهد وولاء جديدين مقابل الاعتراف بالسلطة التركية والسماح لهذه القبائل بالتردد على الأسواق والمراعي[1]، حيث كانت كل من ورقلة وتقرت طيلة الفترة العثمانية تشكلان محورا واحدا ومركزا رئيسيا لتجارة السودان ومحطة قارة لطريق الحج كما كانت تصرف منتوجاتها المحلية من أصواف وجلود وتمور للتل، ولقد شجع حكام الأتراك هذه الهجرة العملية حيث رأوا فيها وسيلة فعالة لأخذ ضريبة خاصة. وكانت هذه الضريبة الخاصة بمناطق التيطري حيث كانوا يدفعونها إلى البايلك، مثل أولاد الشراقة الذين كانوا يدفعون الضريبة من المنتوجات الفلاحية والحيوانية[2].

كما أن المناطق الصحراوية تعتمد على زراعة النخيل وحصر منتوجاتها في التمر فقط[3]، حيث كانت الزراعة خلال العهد العثماني كقطاع حيوي وهام يشكل المورد الاقتصادي لمعظم السكان ومصدر عيشهم ورغم صعوبة الطبيعة الصحراوية وضآلة الموارد المائية السطحية، إلا أن الفلاحين اعتمدوا على المياه الجوفية كمورد رئيسي في الري الزراعي، وذكرت بعض المراجع أن بني جلاب، حكام تقرت في أواخر العهد العثماني قد اعتنوا بزراعة النخيل من خلال حفر الآبار[4]، كما كانت بسكرة زاخرة بكل ما

---

[1] الهادي درواز. *الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع (1954-1962م)*، الجزائر : أرمومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، ص 28

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، د ط، د س، ص 221-238

[3] دوك دي دوماس. *الصحراء الجزائرية*: ترجمة قندوز عابد قوراية، الجزائر : غرناطة للنشر والتوزيع، 2013م، ص 6

[4] الطيب بوسعد." الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (الوادي نموذجا)"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، غرداية، الجزائر، 2011م، ص 242

تشتهي الأنفس من تمر وزيتون وبذور كتان وحناء وفواكه[1]، وخضر وما لا يحصي عدده إلا الله ويرد عليها من أهل البادية آلاف مؤلفة[2]، وقد تحدث بول بورد عن أجود تمور الواحات، أنه يوجد حوالي 60 فصيلة من التمور، ولكن أشهرها دقلة نور والغرس[3].

أما عن الثروة الحيوانية في الجنوب والتي كانت تزدخر بثروة حيوانية هائلة من رؤوس الأغنام حيث تعد تربية الماشية والأغنام مصدر دخل الفرد الصحراوي حيث تتركز تربية الماشية كل من أولاد جلال والزاب الشرقي وتقرت وورقلة ولكن أكثرها في منطقة وادي سوف، أما عن تربية الإبل خاصة في أقصى الجنوب لدى كل من الشعانبة والتوارق، كما كانت تربية الخيول[4].

أما عن التبادل التجاري في الجنوب ومع أن الصحراء تشكل أكبر جزء من الأراضي الجزائرية فشهدت حركة تجارية نشطة[5] حيث لعبت منظمة الجنوب الشرقي دورا تجاريا كبيرا داخليا وخارجيا فقد ربط سكانها علاقات مع تمبكتو وتونس وطرابلس وأخرى داخلية[6].

كما كانت ورقلة كما ذكرها البكري ووصف أهل ورقلة أن تجارها أغنياء بحكم تجوالهم في بلاد السودان وغانا من أجل الاستفادة من ذهبهم[7].

---

[1] مولاي بالحميسي. *الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني*. الجزائر: الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، [د س]، ص 29

[2] أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي. *الرحلة الناصرية (1709-1710م)*، تح عبد الحفيظ ملوكي، ط1، ج 1، أبو ظبي : دار السويدي للنشر والتوزيع، 2009م، ص 60

[3] جستون كوفي. *غراسة النخيل في سوف، مذكرة 1900-1901م*، ترجمة ميهي عبد القادر، ط1، الوادي : مطبعة مزوار ، 2013م، ص 16

[4] الهادي درواز: مرجع سابق، ص 24

[5] محمد كاكي. *"تاريخ الجنوب الشرقي الجزائري من خلال البعثات والكتابات الفرنسية"، في: ملتقى حول السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية وردود الفعل الوطنية (1845-1962م)*، جامعة غرداية 2-3 نوفمبر 2014م، ص 4

[6] عبد القادر ميهي. الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 73

[7] الإدريسي: محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، أبو عبد الله. *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، تح: مجموعة من الأساتذة، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م، ص 296

كما كانت تعتمد على حركة القوافل حيث ظلت طيلة الفترة العثمانية ملتقى التجار ومركزا للمواصلات كما كان لها طريق معروف وهو طريق الذهب الذي كان يمر بورقلة وتقرت ويربط موانئ بلاد المغرب العربي بالمدن الرئيسية وممالك السودان[1].

وكذلك من الطرق الصحراوية الأخرى الهامة والتي كانت تلعب دورا هاما في الاقتصاد المناطق الجنوبية، وخاصة تلك الطرق التي تخرج من طرابلس وتتجه إلى غدامس إلى فزان فهي ملتقى تجاري بامتياز[2].

إلى جانب التجارة في وادي سوف التي تمثل نشاطا بارزا والتي سمحت ولو نسبيا بفك عزلتها فهي توفر حاجيات المنطقة من السلع المختلفة وتسمح بتصريف جزء من إنتاج التمور وبيعه أو مقايضته للسماح بتلبية حاجيات السكان[3].

أما بالنسبة للصناعة في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال فقد مارس سكان الصحراء كثيرا من الحرف اليدوية في منازلهم وفي دكاكين وحوانيت ولعل لهم أهم الصناعات السائدة في العهد العثماني هي ما يسمى اليوم بالصناعات التقليدية[4].

وقد كانت لليد العاملة في الصحراء قليلة لانعدام الصناعة وقلة الخدمات فإن أغلبها يشتغلون في المزارع والرعي أو بعض الصناعات التقليدية مثل الحصيرة والقفة، والزربية، والبرانيس، والفخار وصناعة جلود[5].

2. الأوضاع السياسية:

لقد كانت الأوضاع السياسية للجنوب الجزائري في أواخر العهد العثماني وقبيل الاحتلال الفرنسي للصحراء مصاحبة لعدة أحداث[6]، حيث كان معظم سكان الصحراء

---

[1] عثمان حساني. *البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ: جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص 123

[2] إسماعيل العربي. *الصحراء الكبرى وشواطئها*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 72

[3] عثمان حساني: مرجع سابق، ص 123

[4] الطيب بوسعد، مرجع سابق، ص 435

[5] الهادي درواز: مرجع سابق، ص 25

[6] إبراهيم مياسي. *الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934*. الجزائر : دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 91

يتبعون نظام الجماعة وكبار الشيوخ، أي أن الزعامة كانت في الجنوب الجزائري في بداية الاحتلال تقوم على العرف والشريعة الإسلامية المذهبية وللشيخ والجماعة كلمة الفصل[1]، مثل أولاد سيدي الشيخ[2] الذين كان لهم نفوذ على مناطق شاسعة، كما كان سكان مدينة القليعة• في طاعة سلطان ورقلة، وبها عامله يتحاكم إليه أهل القرية ويذعنون له وكان يحكم ورقلة أمير يدعى علاهم[3] إلا أنه كان هناك نفوذ عثماني بورقلة ومنطقتها نلتمسه في تلك العلاقة التي تربط أهالي المنطقة بحكم الإيالة[4] الجزائرية بفعل الهجرة المؤقتة للمناطق التلية.

وكذلك على حركة القوافل ونشاط التجار، كما ظلت ورقلة ومنطقتها في أغلب فترات العهد العثماني خاضعة لحكام إيالة الجزائر بشكل مباشر عن طريق توجيه حملات عسكرية، أو غير مباشر من خلال إظهار التبعية وإبداء فروض الطاعة بذكر السلطان العثماني في خطبة الجمعة، ونفس الأوضاع كانت تعيشها مدينة توقرت التي ألزمها أحمد المملوك باي قسنطينة عام 1820م بدفع ضريبة، مع أنها اعتادت قبل ذلك على تبادل المنتوجات[5].

كما يتضح لنا أن الجنوب الجزائري كان يقابل السلطات العثمانية الحاكمة بموقف عدائي[6]، حيث كان معظم أعراب بسكرة والوادي وتوقرت ورقلة في فوضى نتيجة رفضهم لظلم الأتراك وعدم قبولهم لسياستهم في مجال الضرائب والتجارة وغيرها، كما يظهر

---

[1] جمعية الانتفاضة 27 فبراير 1962م التاريخية بورقلة: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة ص 66

[2] سيدي الشيخ: ينحدر أصل سيدي الشيخ من أسرة الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حسب مصادر ووثائق عربية وأجنبية والتي سكنت مكة في بداية ظهور الدين الإسلامي ثم هاجرت إلى مصر ثم انتقلت إلى تونس ثم الجزائر والمغرب، فهم موزعون بين الجزائر والمغرب أنظر: إبراهيم مياسي، أولاد سيدي الشيخ، مجلة الذاكرة، عدد 3، 1995م، ص 133

• هي مدينة المنيعة وتعرف كذلك بالقليعة، من أجمل أقصى الجنوب الصحراوي، ديارها مبنية على الطريقة السودانية، استولت عليها فرنسا سنة 1861م. أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص 241

[3] مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ب ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ي، ص 28

[4] هي أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إلى إيالات ومنها إيالة الجزائر، التي كانت خارج النظم الإدارية العامة أو التكاليف الضريبية. سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ، ص 45

[5] ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص ص 231، 234، 241

[6] مولاي بالحميسي، مرجع سابق، ص 29

العياشي أن أجزاء كبيرة من البلاد كانت مستقلة لا تخضع للوجود العثماني بل هي تحت تصرف كبار الشيوخ والجماعة[1].

كما تضررت بسكرة في ذلك العهد لتحالف الترك عليها وعساكر البدو حيث يستولي عليها هؤلاء تارة وأولئك تارة[2].

ومع نهاية الحكم العثماني ومع بدايات الاحتلال الفرنسي للصحراء، ازدادت الفوضى والاضطرابات وتصفية الحسابات وعرفت نواحي عديدة من مناطق الجنوب أحداثا خطيرة[3] مثل التنافس بين الحكام المحليين وبين أفراد الأسر الحاكمة، ففي هذا المجال نجد أسرة بني جلاب[4]، التي كانت في أول عهدها تحكم مناطق من وادي ريغ وإيغرغار أصبح حكمهما نتيجة هذا التنافس لا يتعدى مدينة توقرت، في عهد محمد بن محمد بن جلاب، الذي اشتهر بأخلاقه الفاسدة وبقتله لإخوته[5].

كما حصلت مشاكل عديدة بالأغواط منها اعتراض الحاج العربي على أحمد بن سالم حول حيازة بعض الملكيات العقارية أدى ذلك إلى طرد الحاج العربي من المدينة وصادف ذلك زيارة الأمير عبد القادر إلى النواحي الجنوبية فوفدت عليه وفود الأغواط بأحوال البلاد وطلبوا منه أن يولي عليهم من يضبط أمور بلادهم فوقع الاختيار على الحاج العربي فعينه الأمير عبد القادر في منصب الخليفة على قبائل الغرابة والشراقة والجهات الجنوبية، وبذلك أصبح الحاج العربي الحاكم الشرعي لهذه المناطق الصحراوية.

كما أن وادي سوف كانت تعيش نفس الظروف المتمثلة في الصراع بين القبائل والعشائر حيث أن إقليم سوف لم يخضع للحكم المركزي العثماني إلا في بعض الفترات

[1] عبد الله محمد العياشي. *الرحلة العياشية، 1661-1663م*، تح سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط1، المجلد الأول، أبو ظبي : دار السويدي ، 2006م، ص 67 - 79

[2] مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص 29

[3] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 92

[4] بنو جلاب: حكم بنو جلاب مدينة تقرت مدة 34 سنة، ينظر: هبة كنوة: نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسيين لمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري (1844-1918م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة لخضر الوادي، 2015-2016م، ص 41

[5] مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص 239

الأخيرة وكانت تابعة اسميا وصوريا لنفوذ شيخ العرب المتمثل بباي قسنطينة في الصحراء من جهة وسلاطين بني جلاب بتقرت من جهة أخرى، والجدير بالذكر هو أن بعض قرى سوف رفضت الخضوع لسلطة بني جلاب، إذ كان الشيخ فرحات بن جلاب سلطانا على تقرت الذي كان ينافس باي قسنطينة في السيطرة على سوف ويريد الاستحواذ على ضرائب قرى سوف، وهذا ما دفع الشيخ فرحات في عام 1789م إلى معاقبة أهل بلدة[1] قمار[2] بسوف فنزل عليهم بجيشه وفرض عليهم دفع الضريبة، وهذا ما جعل صالح باي حاكم بايلك الشرق سنة 1791م يتجه إلى تقرت ويرغم فرحات على مغادرة سوف، وبذلك تم الاعتراف بسلطة صالح باي على سوف وتقرت[3].

وإذا توجهنا إلى أولاد سيدي الشيخ والذين أعلنوا منذ البداية ولاءهم للأمير عبد القادر، حيث قامت السلطات الاستعمارية بتعيين سيدي حمزة• على الجنوب الجزائري وفي سنة 1851م عودة الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة•• من البقاع المقدسة الذي كان معاديا للتوسع الاستعماري، حيث حاول القيام بثورة عارمة ضد التوسع الاستعماري في الصحراء إلا أن السلطات الفرنسية تنبهت لذلك[4].

بالإضافة إلى نوع آخر من الصراع الذي كان بارزا في منطقة الزيبان، في تلك الفترة، والذي يتمثل في الأطماع الخارجية للاستحواذ على الإمارة واحتواء مشيخة بني جلاب من طرف عائلة بوعكاز وبن قانة بمنطقة الزيبان، كما نجد أن بني جلاب في هذه الفترة كانوا في علاقة ودية مع الفرنسيين، وعليه فإن اعتراف شيخ تقرت عبد الرحمن

---

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 92 إلى 167

[2] قمار: تقع قمار على بعد 2 كلم إلى الشمال من مدينة الوادي. ينظر: عبد القادر الميهي: الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، ط1، دار الثقافة الوادي، 2015م، ص 22

[3] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 166-167

• هو حمزة ولد بوبكر، وهو زعيم فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة، جعل نفسه تحت خدمة الاستعمار الفرنسي. ينظر: يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر، دار البصائر، الجزائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م، ص 172

•• هو الثائر المعروف الشريف محمد بن عبد الله، كان معاديا للأمير عبد القادر، وبعد عودته من الحج تزعم حركة المقاومة في الصحراء الشرقية ضد فرنسا، وأعلن نفسه سلطانا على ورقلة وما جاورها سنة 1851م. ينظر: يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 154، 174

[4] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 114-115

الجلابي بالسيادة الفرنسية على المنطقة أثار غضب الأهالي وأهل الزيبان، مما أثار عدة ثورات ضد أمراء بني جلاب معلنين عن رفضهم للأوضاع السائدة[1].

3. الأوضاع العسكرية:

كانت مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري من قبل سكان الصحراء منذ بداية إرسال البعثات الاستطلاعية والاستكشافية نحو الجنوب[2]، حيث ظهر تصميمهم على سياسة الرفض التي كانت واضحة للعيان، وتجلى ذلك بترجمتها في عدة مقاومات شعبية والتي شملت كل الصحراء[3]، ويمكننا الإلمام بلمحات من أهم هذه المقاومات. (ينظر الملحق رقم 01)

1.3 مقاومة أولاد سيدي الشيخ:

حيث حققت عدة انتصارات على قوات الاحتلال ووجهت لهم أقسى الضربات[4] وقد وصف المؤرخ الفرنسي ثورة أولاد سيدي الشيخ أنها عاصفة عنيفة مندفعة كالسيل الجارف[5].

وقد واصل أولاد سيدي الشيخ وأبناء الجنوب الكفاح وفي سنة 1869م اتصلوا بالمقراني وفي سنة 1871م وجدوا المقاومة في الشمال والجنوب والشرق والغرب، وضعفت ثورة أولاد سيدي الشيخ ولكنها لم تتوقف بل استأنفت مقاومتها للعدو، وأصبح يقودها بوعمامة مكان الأعلى الذي كبر في السن، كما ازدادت قوات العدو وتوسعها على حساب بقية المناطق الجنوبية. كما حاول العدو الفرنسي تشتيت عائلة سيدي الشيخ وتقسيمها بين المغرب والجزائر، وزرع الفتن كما انتهجت فرنسا أسلوب القتل والقمع

[1] رضوان شافو. *مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852-1875م)*، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ: جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص 26-31

[2] إبراهيم العياشي. "دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي"، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد 11، 2013م، ص 31

[3] بسام العسلي. *المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي*، ب ط، دار النقاش للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م، ص 85

[4] إبراهيم مياسي، *توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م)*. منشورات متحف المجاهد، 1996م، ص 77

[5] نتائج ثورة 1871م، وأبعادها ومظاهرها، مجلة صادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ع 14، الجزائر، 2006م، ص 16

والاستيلاء على الأملاك والمزارع والمواشي، وهذا لتضييق الحصار على ثورة أولاد سيدي الشيخ[1].

2.3 مقاومة المقراني:

لقد ساهم الشيخ الحداد وأتباعه في ثورة المقراني التي أدهشت الاستعمار الفرنسي خاصة من حيث الإعداد لها وشموليتها لمناطق واسعة من الوطن الجزائري، كما لا ينكر أحد دور محيي الدين ابن الأمير عبد القادر في دعم ثورة المقراني والحداد.

ولقد زاد من لهيب الثورة انتصار أولاد سيدي الشيخ في الغرب عام 1870م، وكذلك انتفاضة حركة ابن خدومة في نواحي غليزان أي أن الشهرين السابقين لثورة المقراني عام 1871م، ساهما في استغلال لهيبها والقيام بثورة عارمة.

حيث كان المقراني يقوم بالإعداد للثورة والتجنيد لها بين شيوخ القبائل والزوايا وقادة الثورة، فكانت ثورة المقراني في يوم 7 مارس 1871م، والإعلان عنها، حيث بعث بعدة رسائل لقادة الفرنسيين مثل القائد العام ببرج بوعريريج والثانية إلى الجنرال أوجرون يخبرهم فيها عن مواجهتهم، حيث كانت ثورة المقراني ثورة شعبية عارمة جمعت بين مختلف شرائح المجتمع وشارك فيها قياد وآغوات ومثقفون وفلاحون وعمال وشباب ونساء وغيرها كلهم مناهضون للاستعمار فكانت المعركة الأولى للشيخ المقراني ورفقائه بومزراق ومحمد بن عبد السلام وعبد الرحمن ومحمد بن الشيخ في أفريل 1871م، والتي كانت نتائجها وخيمة على المجاهدين إلا أن الشيخ المقراني استطاع أن يلحق الهزيمة بالجيش الفرنسي عدة مرات ويحقق بذلك عدة انتصارات رغم عدم التكافؤ بين الفريقين لا من حيث التعداد ولا من حيث الإمكانيات وكانت وفاة المقراني في 5 ماي 1871م[2].

[1] ملك بحوص: ثورة أولاد سيدي الشيخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص 21

[2] العربي منور: تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، ب ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص 215 إلى 241

3.3 مقاومة الشيخ بوعمامة:

حيث عبرت مقاومة الشيخ بوعمامة عن إرادة وتصميم أهل الجنوب عن رفضهم لوجود الاحتلال الفرنسي كما عبرت هذه المقاومة عن رفض الشيخ بوعمامة والقبائل المساندة له للمشروع الخاص بالسكة الحديدية عبر الصحراء في الجنوب الغربي المعلن عنه عام 1879م، حيث كانت مقاومة على مرحلتين:

* المرحلة الأولى (1881-1883م): حيث أعد بوعمامة الجهاد على الفرنسيين وهزمهم في معركة سفيسفة جنوب عين الصفراء وألحق بالجيش الفرنسي عدة خسائر ثم معركة حامية الوطيس بين المقاومة تحت قيادة الشيخ بوعمامة وجيش الاحتلال 16 أفريل 1882م، وكان الانتصار للشيخ بوعمامة ورفقائه،

وهكذا قام الشيخ بوعمامة من 1883 إلى 1884م بتوعية أهل الجنوب ووجوب رفضه ومقاومة العدو الفرنسي حتى عام 1878-1879م الذي كان واقفا هو وأعوانه ضد سياسة الاستعمار الفرنسي خاصة بعد إعلان فرنسا عن مشاريع السكة الحديدية في الجنوب الغربي إلى غاية وفاته في 1908م[1].

[1] العربي منور: مرجع سابق، ص 261-280

4.3 مقاومة التوارق:

حيث واجهت كل المناطق الجنوبية التوسع الاستعمار في كل مكان كما كان إصرار سكان الجنوب على الوقوف في وجه المستعمر قويا وواضحا. [1]

حيث شهدت منطقة الهقار عدة معارك ومن بين المعارك التي قام بها الهقار ضد التوسع الاستعماري: معركة وادي أهاون سنة 1881م، قرب تمنراست بقيادة الأمينوكال.

كما شهدت الهقار عدة معارك أخرى مثل معركة الدغامشة 04 جانفي 1900م، ملحمة عين غار (اينغر) 24 جانفي 1900م، ثم معركة تيت 7 ماي سنة 1902م، انتصر فيها التوارق مما جعل فرنسا تطلب عقد صلح مقابل عدم تدخل في شؤون قبائل التوارق.

ومعركة تمنراست 1904م، ثم معركة إليزي سنة 1908م، وبعد كل هذه المعارك حاولت فرنسا دائما التفاوض مع التوارق وشيخها إلا أنها لم تنجح في ذلك[2].

إلا أن فرنسا لم توف بوعدها للأمينوكال هذا ما أدى إلى قيام معركة وادي تهراق في 1916م، وانتصر فيها التوارق[3].

4. الحياة الاجتماعية

تنقسم الأنماط السكانية لسكان الجنوب حسب التواجد السكاني والنسيج العمراني كما تتحكم فيها الظروف الطبيعية وعلى هذا الأساس نميز ثلاثة أصناف من سكان الصحراء:

[1] جمال قنان: قضايا ودراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، الجزائر، 1994م، ص 146

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 463 إلى 469

[3] عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد واتحاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة، الجزائر، 1995م، 102-103

سكان الحضر هم: سكان المدن الرئيسية: الأغواط، جامعة، تنمراست، جانت، ورقلة، وادي سوف، بسكرة، وادي ريغ، توقرت، مغير، متليلي، عين صالح، المنيعة. وسكان القرى وهي كثيرة ومتباعدة المسافات.

أما الرحل: فيجمعون بين الاستقرار الظرفي بين الشمال والجنوب بحثا عن الكلأ وهم في ترحال باستمرار.

كما اعتمدت القبائل البدوية الصحراوية على الترحال بحثا عن الكلأ وإيجاد المراعي لمواشيهم. فارتبط استقرارهم حسب الظروف الطبيعية ونزول المطر والغطاء النباتي مثل قبائل سعيد في تقرت وقبيلة الشعانبة وبني ثور بورقلة، والربايع، أولاد نايل، بالأطلس الصحراوي وكانت هذه القبائل ترتحل إلى المناطق التلية في فصل الصيف للحصول على الموارد الأولية والرعي بالماشية[1].

ومع التواجد العثماني إلى غاية التوسع الفرنسي للصحراء كان سكان الصحراء ينقسمون إلى الأشراف والطرقيين والإباضيين، ولم يكونوا يخضعون لسلطة واحدة، فمثلا كان المرينيون يخضعون لأسرة بني جلاب التي كان لها مجال نفوذ واسع، وكانوا في صراع دائم مع السلطة العثمانية.

كما كانت هناك مجموعة من الزعامات الروحية وفي مقدمتها القادرية وسلطة التيجانية وبفعل وجود هذه الزعامات لم يتمكن النظام العثماني من السيطرة التامة على الجنوب خاصة في أواخر عهده[2].

[1] الهادي درواز: مرجع سابق، ص 24

[2] التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة، ب س، ص 63

فقد كان المجتمع الصحراوي يتميز بمجموعة من التشكيلات الاجتماعية منها الثقافية والدينية العريقة وكذلك عاداته وتقاليده وأعرافه الاجتماعية ومظاهر التعاون والتسامح مما أدى إلى تنوع اجتماعي راقي[1].

كما نجد الدين الإسلامي هو العامل الأكبر لتماسك المجتمع الصحراوي بكل مقوماته الحضارية والتاريخية وخصوصياته كالحرمة وحسن الضيافة والجود والتعاون إضافة إلى اللغة العربية التي تعد مهمة جدا في المجتمع الصحراوي وتعبر عن عروبته وعراقته وتأصله[2].

وتشكل الأسرة في المجتمع الصحراوي اللبنة الأولى في تكوين الخلية الأساسية في النظام الاجتماعي الصحراوي[3].

أما المستوى المعيشي فقد انعكست عليه الخصائص الطبيعية والشروط الاقتصادية والاجتماعية على مجتمع الواحات مما أثر على المستوى المعيشي وجعله يمتاز بالبساطة وعدم التكليف سواء كان من حيث الغذاء أو اللباس أو المسكن؛ فغالبا ما نجد مساكن الصحراء بسيطة سواء من الطين أو الحجر أو الخيم، أما الغذاء فغالبا ما يكون من إنتاج مزارعهم ومحاصيلهم الفلاحية ومنتوجاتهم الحيوانية[4].

[1] عميراوي حميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1894-1916م)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص 144

[2] القشاط محمد سعد: التوارق عرب الصحراء الكبرى، دار المحيط العربي، م ط، د س، ص ص 15-19

[3] حلمي بركات: المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، ط5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996م، ص 69

[4] علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال إلى بداية الثورة التحريرية (1830-1954م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009-2009م، ص 298

كما عرفت المناطق الصحراوية انتشار بعض الأمراض[1] وهذا نتيجة لنقص التوعية وطبيعة عمل الفرد الصحراوي من خلال الرعي والفلاحة وغيرها من الأعمال الشاقة وكذلك نقص التهيئة الاستشفائية في الجنوب منذ الوجود العثماني[2].

(ينظر الملحق رقم 02)

حوصلة الفصل التمهيدي:

جاء الفصل التمهيدي يحتوي على عرض عام للأوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية التي كانت سائدة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، حيث كان أهل المنطقة يعيشون معيشة بدوية ويعتمدون على تجارة التمور والمواشي والجلود وغيرها، وكان يقودهم شيوخ القبائل ومشايخ الطرق الصوفية.

ومع هذه الظروف انطلقت المشاريع الاستعمارية الضخمة منذ 1850م، وكان أهمها مشاريع السكك الحديدية في الجزائر ومن بينها الخط الحديدي العابر للصحراء الذي بدأ عام 1874م.

وكان لهذه المشاريع أثر على الوضع الاقتصادي، السياسي، والعسكري والاجتماعي في الصحراء الجزائرية. ومن هنا جاء البحث في فهم كيف كان هذا التغيير.

وبعد ذلك ننتقل إلى الفصل الموالي لنرى كيف استغلت فرنسا هذه الأوضاع لخدمة مصالحها الاستعمارية الخبيثة.

[1] تتمثل أساسا في الوباء العام والطاعون الذي ينتشر بسرعة ويودي بآلاف الأرواح مثل الطاعون الخراجي وكذلك الرئوي. فلة موساوي القشاعي: الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)، منشورات بن سنان، صدر بدفع من وزارة الثقافة، الجزائر، ص 149، 220

[2] هنري فايريه: مذكرات الطريق: رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية (1860-1861م)، ترجمة عبد القادر ميهي، ط4، مطبعة مزوار، الوادي، 2004م، ص 144

الفصل الأول:

الدراسات والكشوفات الفرنسية للصحراء الجزائرية

تمهيد:

الأبحاث المنجزة

أولا: أبحاث ل: أ. كات (E. Cat) رحلة عبر الصحراء

ثانيا: أبحاث السيد أغسطس شاربونو (M. Cherbonneau)

سلاطين توقرت

ثالثا: إيزابيل ايبرهارد

تمهيد:

إن الفرنسيين وفور انتهاء الحروب النابليونية استأنفو مهامهم الاستطلاعية نحو القارة الإفريقية التي غدت تستحوذ على المزيد من اهتمامات الأوربيين في مجال الاكتشافات الجغرافية.

ويمكن القول أن فرنسا جعلت من الرحلات الاستكشافية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر المحرك الأساسي للحركة الاستعمارية الفرنسية[1].

أما إذا تكلمنا عن الرحلات الاستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية، فمنذ سقوط الجزائر 1830م تحت الاحتلال الفرنسي، انفتح الطريق أمام الطامعين والمغامرين الفرنسيين، فبدأت فرنسا ترسل البعثات الاستكشافية[2] إلى الصحراء قصد التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية ومظاهرها الجغرافية المختلفة ودراسة المجموعات السكانية والتعرف على عاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري[3].

ويمكن تسجيل البداية القوية للرحلات الاستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية منذ تأسيس لجنة الاكتشاف العلمي من قبل السلطة الفرنسية عام 1897م وهذه اللجنة متخصصة في مختلف الشؤون العلمية مثل علم الآثار والجغرافيا والأثنوغرافيا•.

وكذلك من خلال الرسالة التي أرسلها الوالي العام بيجو إلى وزير الحربية سولت حيث ذكر له فوائد الصحراء السياسية والاقتصادية والاستراتيجية [4].

---

[1] محمدو بن محمذن." الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)"، *مجلة العلوم الإنسانية*، ع 20، 2003م، ص 161

[2] يحي بوعزيز. *مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية*، ط ح، الجزائر : عالم المعرفة، 2009م، ص 77

[3] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 64

• الاثنوغرافيا علم وصف الشعوب وتركز على العادات والتقاليد والأعراف والفلكلور والمعتقدات، ينظر: محمد العربي عقون: الاثنوغرافيا الاستعمارية، شارل فيرو نموذجا، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع 28، 2005م، ص 67

[4] عميراوي حميدة. *قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث*، الجزائر: دار الهدى، 2005م، ص 49

أما الاهتمام الرسمي فيعود إلى إصدار البرلمان الفرنسي قانونا يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب في 1844م[1].

حيث أن فرنسا كانت تعلم جيدا مكانة الصحراء الجزائرية وأن هذه الرحلات الكشوفية ضرورية لرسم مخططاتها وأن فرنسا كانت تدرك أنه من خلال اكتشاف هذه الصحراء تمهد السبيل الذي يمكنها من تحقيق أهم أهدافها في القارة الإفريقية من خلال حركتها التوسعية باعتبار أن الصحراء هي الطريق والمنفذ الوحيد الذي يمكنها من ربط بقية مستعمراتها الإفريقية مثل السنغال ومالي والصومال وتشاد والنيجر وغيرها من مستعمراتها بالجزائر وتسهل لها عملية المرور والتوغل في الصحراء الكبرى من خلال استحواذها على الطريق التجارية والتجارة الإفريقية وخاصة عبر السودان والبلاد الموريتانية وليبيا وغدامس وغيرها من الطرق التجارية[2].

وقبل التطرق إلى أهم الرحلات التي قام بها المستكشفون الفرنسيون في الصحراء؛ يمكن التعرف أولا على مفهوم الرحلة والاستكشاف كما في الآتي:

فالرحلة لغة هي مصدر رحل، جمعها رحلات، وهي الارتحال في مهمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة.[3]؛ أما الاستكشاف فهو من الفعل كشف يكشف اكتشافا، كشف الأمر أزال عنه ما يغطيه وجاء في المعجم الوسيط كشف الأمر أي كشف عنه لأول مرة[4].

---

[1] عبد القادر ميهي. *الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم*، ط1، دار الثقافة، الوادي، 2015م، ص ص 113

[2] محمد بن محمدن: مرجع سابق، ص 163-164

[3] أبو الحسن بن السيد. *المحكم والمحيط الأعظم*، تح *عبد الحميد الهنداوي*، ط1، بيروت : دار الكتب العلمية، ج3، 2003م، ص 302

[4] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشرق الأوسط الدولية، مصر، د س ن، ص 879م.

1. الأبحاث المنجزة:

ولقد تنوعت كتاب تلك الرحلات والكشوفات فكان منهم العسكريون والمستكشفون والأكاديميون والباحثون والسائحون، ومن بين هذه الرحلات الاستعمارية إلى الصحراء الجزائرية نذكر البعض منها:

* رحلة أ. كات (Ecat): دكتور في الأدب، أستاذ، الجغرافيا في كلية الجزائر 1892م[1].

* رحلة الجنرال دوماس (Dumas): جنرال وكاتب فرنسي ولد سنة 1803م، وغادر إلى الجزائر سنة 1835م، عين قنصلا سنة 1837م، في دولة الأمير عبد القادر بمعسكر، وفي سنة 1841م، عهد له الجنرال بيجو باكتشاف كل الأراضي الجزائرية المختلفة[2].

* رحلة هنري دي فايريه (Henri Duveyrier) : عالم جغرافيا فرنسي، اشتهر باكتشافه للصحراء، حيث قدم معلومات جغرافية هامة عن الصحراء[3].

* رحلة أغسطس شاربونو (Auguste Charbonneau): مستشرق وسكرتير جمعية الآثار قسم قسنطينة، ولد عام 1813م، حاز على وسام الشرف العام سنة 1863م، عمل مدير الكلية الفرنسية الجزائرية ومفتش للمدارس[4].

* رحلة لورونت شارل فيرو (Laurent Charles Feraud) : ولد عام 1829م، وحفيد العسكري الفرنسي فيرو الشهير، دخل إلى الجزائر سنة 1845م، والتحق بوظيفة

---

[1] عبد القادر ميهي. *الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم*، 2015م، ص 43

[2] أبو القاسم سعد الله. *تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1854م)*، مج 3، ط 3، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2004م، ص 67

[3] أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص 69

[4] فريد حاجي. *السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837-1937م)، المنطلق، السيرورة، المآل*، الجزائر : دار الخلدونية، ، 2013م، ص 87

التراجمة بالجيش الإفريقي، وبدأ شارل فيرو وظيفته الرسمية داخل جيش الاحتلال سنة 1849م، فكان إلى جانب الجنرال ماك ماهون.

* رحلة بول بورد (Paul Bourde) : ولد سنة 1851م، وهو صحفي فرنسي[1].

* رحلة فكتور لارجو (Victor Largeu): ولد سنة 1842م، مكتشف فرنسي، اكتشف عدة مناطق في الجنوب الجزائري، إلا أنه تخلى عن الاستكشاف بعد القضاء على بعثة فلاتر[2].

* رحلة إيزابيل ايبرهارد (Isabelle Eberhardt): ولدت في 17 فيفري 1877م، في جنيف، وكان والدها أرستقراطيا، وأمها اسمها ناتلي دومردي[3]. كانت مشهورة بسعيها للمجهول والخطير، كما كانت تحب أن تجاوز الحدود، فقامت بعدة رحلات للجنوب الجزائري[4].

فهنا نذكر رحلة أ. كات وأغسطس شاربونو وإيزابيل إيبرهارد كالتالي:

(ينظر الملحق رقم (03)(04)

[1] أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص 76

[2] فريد حاجي: مرجع سابق، ص 88

[3] Hadouche Dris Leila Louise ; *le cas d'Isabelle Eberhardt ; école doctorale pratique et théorie au sens* ; doctorat littérature et civilisation française ; soutenue 2010 ; p 35

[4] Elizabeth Kershaw . *the Nomad the diaries of Isabelle Eberhardt Introduction by Annette Kobak*; published by interlineal up group; 2003; 2end page

1.1 أ. كات (E. Cat):

(دكتور في الأدب، أستاذ الجغرافيا في كلية الأدب، الجزائر. 1891م)

إلى الشمال من المنطقة على مسافة 185 كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من بسكرة وعلى مسافة 110 كيلومتر إلى الشرق، شمال شرق تقرت توجد منطقة لا تقل غرابة، إنها منطقة سوف، من بسكرة يمكن الوصول إليها عبر مختلف المسالك، ويبدو أن أفضلها تلك التي تذهب من بسكرة إلى برج الشقة على طريق وادي ريغ، بعد ذلك إلى الجنوب الشرقي وتصل بعد ثلاث أيام من السير إلى مدينة الوادي، تسلك القوافل طريقا أخرى تمر عبر سيدي عقبة، عين الناقة، سيدي الصالح، تقطع سهل الفيض، وهي طريق رملية إلا أنها جيدة، وتتوفر على الماء والحطب.

منطقة سوف هي الصحراء الحقيقية يقول أحد علماء الجيولوجيا: هي بحر يحتمل أنه تجمد عند حدوث عاصفة عنيفة، كثبان تشبه الأمواج التي ترتفع الواحدة تلو الأخرى حتى حدود الأفق، تفصلها أودية هي المنخفضات بين أمواج المحيط العاتية والتي تمثل كل مظاهرها" وتبلغ الكثبان ارتفاعات عالية تصل أحيانا أكثر من 200 متر فوق مستوى الأراضي.

كما أن العواصف تعطي منظرا غريبا وهي خطيرة على القوافل عند حدوثها يتشبع الفضاء بالرمل بحيث تصعب الرؤية.

كما أن هذه الكثبان يتم عبورها بعد عناء شديد يصعب على العمال والجياد التي لم يسبق لها أن سافرت في هذه المنطقة أن تجرؤ على السير هذه المنطقة الغريبة الممتدة من جنوب منخفضات الشطوط حتى منحدرات الأهقار ووادي ريغ إلى ما بعد غدامس يستغرق عبورها عشرين يوما[1].

(ينظر الملحق رقم (05)

[1] عبد القادر ميهي: الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص 43

وسط هذه البلاد الصعبة الولوج والمعزولة تقع واحات سوف التي يبلغ عددها ثمانية تقع خمسة منها على خط يمتد شرق جنوب شرق وهي قمار، تغزوت، كوينين، الوادي، اعميش، وثلاثة على خط شمال شمال شرق وهي: الزقم، البهيمة، الدبيلة.

تشكل حدائق النخيل على شكل صفيحة حصان مستطيلة وصولها 20 كلم تقريبا، وتنتشر الحدائق في كل مكان في مجموعات معزولة تتكون الواحدة منها من خمس إلى مائة نخلة.

ومن بعد لا ترى هذه الحدائق تقريبا ومن قريب لا نرى سوى رؤوس النخيل تبرز قليلا خلف السياجات وهو عمل يلفت الانتباه.

وحين تتقدم النخلة في السن وتصبح غير منتجة أو يصيبها المرض يظهر ذلك في نقاط سوداء على أوراقها فإن الفلاحين يسندونها بجذوع جديدة مع قطع الجذور المريضة كما أن السوافة يضعون السماد حول نخيلهم الذي يجلبونه من مناطق بعيدة وبفضل هذا العمل الدؤوب كل عام.

وعلاوة على التمر تنتج حدائق سوف تبغا جيدا حيث تزرع هذه المادة منذ حوالي قرن ويوجد في ثلاث مناطق من قمار والمقرن والرقيبة[1].

وتنتج المنطقة الخضر مثل البطيخ والبطيخ الأحمر والثوم والفلفل، والقليل من الشعير، وهناك أيضا بعض من أشجار التين والرمان والمشمش لكنها تعطي ثمارا رديئة لأنها لا تتوفر على الماء الكافي. (ينظر الملحق رقم (12)

كما أن المزارعين يقومون بحفر الآبار وهي غير عميقة يتم صب الماء في خزانات قبل توزيعها بواسطة سواقي في المربعات الصغيرة لري النبات، وقيمة الحدائق في سوف كبيرة تتناسب مع عدد النخيل.

[1] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص 43-44

وفي سوف، توجد الملكية العامة بالتوازي مع الملكية الخاصة منذ الأزمان السحيقة وهي موثقة بالعرف العام، ومن وقت قصير أصبحت توثق بعقود القاضي، وحين يريد أحدهم بناء منزل عليه شراء قطعة أرض من الجماعة وإذا كانت الأرض لجهة ذات أهمية يكفي تقديم ضيفة للجماعة.

لا تشبه بناءات سوف تلك التي في الواحات الصحراوية الأخرى، إذ لا يستعمل الناس قوالب الطوب المجفف وليس هناك سطوح فوق المنازل حيث يستعمل السوافة حجارة الجبس الكلسي، تحرق الحجارة وتطحن لتعطي جبسا ويشيد السقف من أغصان النخيل، تعلوها قباب صغيرة كروية الشكل تشبه قباب الأضرحة، وتسمح فتحة ضيقة في السقف بخروج الهواء والدخان.

كما يوجد في المدينة عدد من المساجد كما يوجد مقر للزاوية التيجانية فهي زاوية كبيرة وفسيحة كما توجد بها برج وحامية من 100 جندي لحراسة الحدود الشرقية ومركز صغير في الواحات الشمالية الشرقية.

أهل السوافة هم أغنياء نسبيا علاوة على منتجات حدائقهم فهم يملكون قطعانا كثيرة من الأغنام والإبل، حيث كانوا يملكون في السابق 1.500 من جمال المهري[1].

أما التجارة فكانت مع السودان ومناطق التل وغدامس، حيث تنسج نساؤهم 70.000 برنوس وحايك وملابس أخرى من الصوف وتبلغ قيمتها 1.000.000 فرنك يبيعونها في أسواق التل وغدامس والصحراء.

[1] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 44-45

كما أن السوافة يجدون موارد أخرى يذهب البعض إلى الصحراء لصيد الظباء والغزلان ويبيعون لحمها وجلدها في المدن، ويذهب الآخرون إلى مدن التل في الجزائر وفي تونس ليعملوا حفارين وحمالين وتجارا ويدخرون شيئا من المال.

تحدثنا عن السوافة وكأنهم ينتمون إلى جنس واحد في الحقيقة هناك اثنان أو ثلاث قبائل، العدوانيون، وهم أقدم سكان البلد، الذين طردوا وقدموا من تونس في آخر القرن الرابع عشر، والشعانبة الذين قدموا من ورقلة منذ مائة سنة تقريبا حيث أجبروا على الهجرة، والآخرون يسمون أولاد سعود[1].

[1] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 46-47

2.1 أغسطس شاربونو (M. Charbonneau):

سلاطين توقرت

مدينة توقرت، التي يمكن اعتبارها المركز التجاري للمنتوجات الصحراوية التي تقع على بعد 76 فرسخ[1] و6 مراحل[2] بالقافلة عن مدينة بسكرة.

وتبدأ واحة تقرت على مسافة 39 فرسخ من بسكرة وتتكون من 35 قرية يحيطها سياجان من النخيل التي يسميها العرب وادي ريغ، باسم سكانها الرواغة.

يأتي الناس من إمارة تقرت ليأخذوا الحبوب من التل ويقدموا مقابل ذلك تمرهم وزرابيهم وأقمشتهم الصوفية، يشكل أولاد مولات• القبيلة المحاربة حرس دائرة (حوش) أمراء تقرت وهم يتمتعون بامتيازات كبيرة.

والمؤسس الأول لمملكة بني جلاب هو الشيخ سليمان[3] عندما وصل إلى الحكم كانت الفوضى تسود الواحات حيث أصبحت الأسواق المخصصة للمبادلات السلمية للمواد الغذائية والمنتوجات الصناعية ميادين للقتال تصفى فيها الأحقاد بين قبيلة وأخرى وبين قرية وأخرى وعائلة وأخرى..

وبسبب هذه الصراعات توقفت مخازن التمر وبيت المال، ولذلك كان لا بد من إعادة الأمن لهذه البلاد جاء إذن الشيخ سليمان سليل ملوك بني مرين ليعيد السلم إلى تقرت[4].

بما أنه كان على دراية بموارد البلد وأحوالها. فجمع الرجال الأكثر شعبية من الواحات خاصة شيوخ الزوايا الصوفية وأغدق عليهم الهدايا، حيث شعر الشيخ سليمان

---

[1] الفرسخ = 3 ميل = 5544 مترا. أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت، ط4، 1982م، ص 144

[2] المرحلة = من خمسة إلى ستة فراسخ = من 28 إلى 33 كيلومتر ومتوسطها 30.5 كيلومتر. أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت، ط4، 1982م، ص 144

• من أهم وأقوى قبائل المنطقة. ينظر: تلمساني بن يوسف: واحة وادي ريغ، دراسة وصفية من خلال تقرير فرنسي، حولية المؤرخ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الأبيار، الجزائر، العدد 3-4، 2005م، ص 396

[3] يذكر العياشي وغيره أن اسم مؤسس هذه الأسرة هو الشيخ أحمد وليس الشيخ سليمان. ينظر: عبد الله محمد العياشي، الرحلة العياشية، 1661-1663م، مرجع سابق، الجزء الأول، ص 120، 122، محمد الحاكم بن عون: أخبار وأيام وادي ريغ، تقديم وتحقيق، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011م، ص 216

[4] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 56-57

بقوته ولم يغير الحكومة، كانت الجماعة هي الجمعية من حيث يستمد الأمراء كيفية حكمهم.

إلا أن الأقدار شاءت وتوفي وجعل سبب وفاته على يد امرأة من سيدي خالد وتسمى أم هاني بنت الباي طلب الشيخ سليمان يد بنت أم هاني التي تنحدر من أسرة شهيرة من شيوخ الزوايا الصوفية، حيث تنقل الشيخ سليمان إلى بلاد خطيبته وكان في انتظاره مجموعة من المتآمرين للقضاء عليه.

وكان خليفته الشيخ محمد بن سليمان ولم يدم حكمه طويلا، وتآمر أولاد مولات ضده بعد أن حرمهم من امتيازاتهم وكانت شرارة الثورة قد انتشرت بسرعة عبر السالمية والرقيق والرحمانية وعند البوازيد.

ترك الشيخ محمد بن سليمان حامية صغيرة من الجند في العاصمة وانطلق الحرب بدائرته فهاجمه عدد كبير من الفرسان وقتلوا الكثير من أتباعه وتضاعف إطلاق النار حتى سقط محمد بن سليمان قتيلا بين الجموع.

خول المنتصرون السلطة الملكية إلى الشيخ محمد لكحل وكان رجلا غير صالح، وترك الجماعة تسيطر عليه وتسير زمام الأمور، حيث تمادى في تعاطي الملذات وكانت له أربع زوجات.

وكان السوافة يبيعون له أجمل الفتيات، كما كان مدمنا على الشرب. ودام حكمه سنة كاملة وقتل الشيخ محمد لكحل وقطع رأسه[1]، وعلق فوق الباب الرئيسي للمدينة، وخلفه بعد ذلك أخوه لكحل، لم يمارس أي ثأر وحكم دون أن يخوض الحروب كان أكثر حظا من سابقيه ومات ميتة طبيعية.

بدأت الطمأنينة تدب في واحات تقرت، أعلن إبراهيم شيخا بعد حكم سنوات قليلة، ووضع السلطة بين يدي ابنيه عبد القادر وأحمد ورحل إلى أرض الحجاز.

[1] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 59

لكن الأمير لم يعمر طويلا في العاصمة، وأجبرهما أحد المطالبين بالعرش حقه في الملك، بعد ذلك رحلا إلى بلاد الجريد*.

عاد الشيخ خالد** إلى تقرت دون أن يواجه أي مقاومة، وكان يعتمد على تحالفه مع أولاد مولات ولم يكن الأمر صعبا في الاستيلاء على السلطة وأخذ يجوب الواحات الرئيسية من ملكه بدءا بالجنوب ومر على تماسين حيث حظي باستقبال رسمي ثم ذهب إلى بلدة اعمر إلى أن وصل إلى ورقلة.

حتى وإن كان بعيدا عن وطنه، لم يتخل الشيخ عبد القادر ابن الشيخ إبراهيم بن جلاب عن حقه في العرش، حيث كان أحد وزراء والده الذي خلعه المغتصب يتبادل معه الرسائل ليؤلب الناس في تقرت.

وكان غياب الشيخ خالد فرصة مواتية ودخل الشيخ عبد القادر إلى العاصمة التي أعلنت الطاعة بين يديه وأعطته البيعة، لم يكن لحكمه الذي دام سبع سنوات أي أهمية لعدم حدوث اضطرابات داخلية عند موته خمسة أبناء ذكور الأكثر شهرة الشيخ[1] عمر والشيخ جلاب، غير أن الملك عاد إلى أخيه أحمد بن إبراهيم بن جلاب.

وبدأ عهد هذا الأمير سنة 1144هـ/ 1731م، ودام تسع سنين، دون أن تفسد العلاقة بينه وبين بايات قسنطينة.

إلا أنه تم طرده من طرف ابن عمه عمر بن جلاب ولجأ إلى الجريد التونسي حيث التقى بأبي عزيز شيخ الحنانشة• وبقيت قبائل كثيرة وفية له مثل أولاد مولات والسالمية وقد جعل أبا عزيز يهتم بقضيته وعرض عليه أن يتولى القيادة حيث قبل أبو

---

* إقليم في الجنوب التونسي من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، يبعد كثيرا عن البحر المتوسط، وهو إقليم شديد الحرارة، والجفاف، ينتج كميات وافرة من التمر الجيد. بينه وبين إقليم الزاب الجزائري علاقات عميقة على امتداد القرون، منها أنه كان مأوى الجزائريين الفارين من المتابعات الفرنسية أثناء فترة الاستعمار الفرنسي. الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقية، ج2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، 1983م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 142

** هو الشيخ خالد بن محمد الأكحل. ينظر: سلاطين تقرت: موقع الكتروني: تقرت الكبرى على الرابط: http://touggourt.kalamfikalam.com/t592-topic، يوم 2017/05/18 على 22.57

[1] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 59

• الحنانشة وهي قبائل تقيم ضواحي سوق هراس. ينظر: صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص 29

عزيز العرض لكنه بقي مترددا في قيادة الحملة لوحده، سارع بالكتابة إلى باي تونس ووجد الأسباب المقنعة لحمله على قيادة الجيوش.

تقدم الجيش وبدأ يدخل إقليم وادي ريغ، حين علم الشيخ بالأمر قبل فوات الأوان ليس له سبيل لتأكيد قوته وإضفاء شرعية الملك الذي اغتصبه سوى الاستجارة بقائد الحنانشة وأرسل إذن ابن عمه فرحات بن جرادة لملاقاة بوعزيز وكلفه بأن يعرض عليه مبلغا أضخم مما عرضه عليه الشيخ أحمد..

وهكذا انقلب الجيش الذي جهز لنصرة المظلوم إلى مناصرة الظالم، في حين دخل بوعزيز الخائن أسوار تقرت واستلم المال والتحية.

أما أحمد وبعد أن فقد الأمل في استرجاع مملكته وافته المنية تاركا أربعة أولاد، أعدم الشيخ عمر اثنين منهم ونجا الاثنان من بطشه.

فر الشيخ محمد لخضر مع أمه إلى غدامس؛ أما محمد محساس فقد ذهب عند أخواله[1].

وفي سنة 1740م، وبعد أن أصبح يملك السلطة ظن الشيخ عمر أنه حقق الراحة لوقت طويل ودام حكمه سبعة عشر سنة.

وبدأت سنة 1170هـ/ 1737م، بتمرد أخويه عليه علي وأحمد فأرسل عمر إليهما لملاقاتهما في مكان يسمى شوشة بالقرب من العامور لكن حين نزلا من فوق حصانيهما انقض عليهما الحرس وذبحوهما غدرا.

عوض الشيخ محمد بن جلاب الشيخ عمر 1170هـ/ 1756م، ومرت أربع سنوات من ولاية محمد دون حوادث ثم غادر لأداء فريضة الحج في مكة وعين محمد بن جلاب ابنه عمران حاكما على إمارة وادي ريغ سنة 1774م.

[1] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 60-62

وبعد تسعة أشهر اندلعت القلاقل في بلاد سوف، حيث ذهب الشيخ إلى سوف بعدما ترك خليفة في تقرت، وقع مريضا وتوفي تاركا ولدا اسمه إبراهيم.

ودخل السوافة في صراعات كبيرة وبعد عودة الشيخ محمد من الحجاز، كرس السنين الخمسة الباقية من حكمه في تحسين معيشة رعيته وترشيح العدالة وبعد وفاته سنة 1765م، تولى عمر بن جلاب السلطة على واحات تقرت؛ ولم يدم حكمه سوى خمسة أشهر انتهت بموته.

وعوضه ابنه الأكبر الشيخ أحمد بن جلاب سنة 1766م في فترة حكمه لم تعد الحرب وتوفي في مكة المكرمة.

ثم تولى الشيخ عبد القادر الابن الثاني للسلطان عمر مقاليد الحكم من سنة 1776م إلا أنه توفي واستلم أخوه فرحات مقاليد الحكم[1].

ودخل في مفاوضات مع باي قسنطينة صالح باي حيث أن هذا الأخير أجبره على المواجهة وتوفي الشيخ فرحات سنة 1792م.

واستلم الشيخ إبراهيم الحكم إلا أنه لم يدم حكمه سوى سنة وهكذا توالت الأحداث وسلاطين مدينة توقرت يتوالون على الحكم.

وفي نهاية سنة 1833م وقع تغيير جديد في المملكة انتهز الشيخ أحمد جلاب ذهاب والده إلى الحجاز ليظهر من جديد في توقرت.

خلفه أحمد بن جلاب، عبد الرحمن الذي كان صهره سيدي الحاج باللوشة واحتفظ بكتابة قصة هذا الأمير في رواية مفصلة[2].

[1] عبد القادر ميهي: انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، مرجع سابق، 2014م، ص ص 64-68

[2] عبد القادر ميهي: الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل، مرجع سابق، ص 71

3.1 إيزابيل ايبرهارد (Isabelle Eberhardt)

إنها أعجبت بالصحراء حيث كانت تقول: "إنه كانت هناك ساعات وملاحظات غامضة جعلتنا نحس بتميز لكوننا أحياء وننعم بالنظر إلى تلك الكثبان الرملية فقد سحرت نفوسنا وكأنها كانت لها روح خاصة تستطلع مشاعرنا بسحرها المجرد.." [1].

حيث بدأت إيزابيل رحلتها في صيف 1900م عن طريق ورقلة ، وتحكي أن كان لها بيت هناك من طوب وأنها تعرفت على أهل منطقة الجريد، كما قامت بربط عدة علاقات مع أهل المنطقة وتعرفت على عاداتهم وتقاليدهم واكتشفت أشياء كثيرة لم تكن تعرفها.

وبعدها رجعت إلى مدينة بسكرة لاستكمال رحلتها فوق جمل ثم إلى مدينة تقرت وبني مزاب، وهذا لاستكمال مغامرتها في الاكتشاف والبحث عن الأشياء الجديدة، كما أن إقامتها في بني ميزاب تعرفت على العديد من شيوخ المنطقة لمساعدتها على التعرف على هذه المنطقة وكيفية التعامل مع سكانها.

كما قامت بالتعرف على شخص من المنطقة وكان اسمه محمد الطيب، وكان من شيوخ المدينة حيث أخبرته بحبها للاستطلاع والبحث عن الحقائق التي لا تعرفها عن المنطقة كما تريد الكشف عن حقيقة مقتل ماركيز موراس•، حيث قال لها محمد الطيب[2] أن البحث عن هذه الحقيقة أنها لا تكون إلا بالخطر وقال لها قومي بالتفكير قبل القيام بذلك، إلا أنها بقيت مصرة على البحث عن هذه الحقيقة.

---

[1] Isabelle Eberhardt; *Au pays des sables 1896-1906*; adapté de textes reunis par René Louis Doyon; dessin d'Isabelle Eberhardt; édité par les Bourlapapey; Biblioteque numérique romande ; p 52

• ماركيز موراس، هو أهم شخصية عند ملك سردينيا، نفي إلى فرنسا على إثر قضية سيئة، قتل في ظروف غامضة. ينظر:
Patricia Bourcillier; Isabelle Eberhardt une femme en route vers l'Islam; Flying publisher; 2012; p 54; 123; 265

[2] Patricia Bourcillier; ; Ibid; 2012; p 115-119

ثم أكملت رحلتها عبر هذه الرمال إلى الوادي التي أعجبت بها كثيرا وتأقلمت مع أهل سكان المنطقة وتعرفت على عاداتهم وأعجبت كثيرا بمأكولاتهم وطريقة لباسهم، كما أن إيزابيل دائما تحب أن تربط علاقات مع كبار وشيوخ المنطقة حيث تعرفت على مقدم وكان أخ ونائب شيخ سيدي الحسين الذي أخبرته أنها تريد أنها تريد الكشف عن حقيقة مقتل موراس، والذي لم يعارض فكرتها، إلا أن إيزابيل أثناء إقامتها في الوادي تعرضت إلى الكثير من الصعوبات والأخطار، حيث أنها تعرضت إلى المرض الذي ألزمها الفراش، وبعد شفائها تعرفت على أحد سكان المنطقة سليمان يحيى الذي قام بمساعدتها في قضية موراس.

وفي 10 نوفمبر 1900م، استقرت في شارع يهودي بالوادي، وهذا الشارع يتميز بناؤه شبيه بناء روماني، وأنها تأقلمت مع سكان الوادي ووجدت الراحة، كما كان سكان الوادي يحترمونها وتعرفت على الكثير من عاداتهم وتقاليدهم وطريقة معيشتهم وتأثرت بها كثيرا.

حيث كانت إيزابيل لما ترجع إلى فرنسا تروي للأوربيين عن حياتها ومغامراتها في الصحراء الجزائرية وخاصة في الوادي، حيث تقول وعلى رغم صعوبتها وقلة الوسائل المعيشية والاختلاف في الثقافة واللغة والدين والعادات والتقاليد إلا أنها أعجبت بالوادي كثيرا.

قالت لما لقيت شيخ الزاوية كان اسمه دعميش وكان يعلم طريقة كتابة وتعليم القرآن، ومع الحديث معه على تلك العلاقة الروحانية بين العبد وربه وشرح لها أن قوة الإيمان هي مدى تقرب العبد من ربه، وهذا يعني أن قوة الإيمان وإيماني أن ليس كل

شيء مستحيل هي الذي كان يدفعني بالمغامرة في هذه الصحراء الساحرة"[1]. (ينظر الملحق رقم (13)

حوصلة الفصل الأول:

جاء الفصل الأول يحتوي على الدراسات الفرنسية والرحلات والكتابات التي قدمها عسكريون ومستكشفون وأكاديميون وباحثون، وكانت كلها تصب في اتجاه إقناع السلطات الفرنسية بالسيطرة على الصحراء من خلال مشاريع استراتيجية لعل أهمها مد خطوط السكة الحديدية.

وكانت حصيلة هذه الدراسات معلومات مختلفة عن تاريخ المنطقة وتراثها وجغرافيتها وسكانها والعلاقات بينهم، وكل ما يخدم الأغراض الاستعمارية، مع محاولة التغلغل داخل المجتمع الصحراوي لمعرفة خباياه وأسراره.

وبعد ذلك ننتقل إلى الفصل الموالي لمعرفة كيف عملت فرنسا على تنفيذ أغراضها

[1] Patricia Bourcillier; op. cit; p 119

الفصل الثانـي:

تفاصيل دراسة مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء

أولا: فكرة ودراسات إنجاز هذا المشروع ومؤسسه

تمهيد

ثانيا: مخططات مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء

ثالثا: أسباب ودوافع فرنسا من إنجاز الخط الحديدي العابر للصحراء

رابعا: أهداف ونوايا فرنسية تنفيذ هذا المشروع

1. فكرة ودراسات إنجاز هذا المشروع ومؤسسه

تمهيد:

على ضوء الاعتبارات التي وضعتها فرنسا بشأن الصحراء الجزائرية، وخاصة بعد قيام الشعب الجزائري بعدة ثورات شعبية لإيقاف زحف الاحتلال واعتصام بعض القادة والثورات بالواحات الصحراوية باعتبارها نقطة ارتكاز للانطلاق في العمل الثوري؛ لذلك عزمت السلطات الاستعمارية على التوسع في الصحراء مهما كانت التكاليف[1]، حيث أصبحت ترى فيها الحلم الذهبي لتطبيق المخطط الاستعماري لتمزيق أطراف المناطق الواقعة جنوب الصحراء وبسط السيطرة الأوروبية على القارة كلها من وراء هذه الشواطئ الجنوبية للصحراء الجزائرية.

حيث أن فرنسا هنا أبرزت كل جهودها على مشروع يبدو وأنه يضمن التغلب على جميع الصعوبات التي تواجهها السلطات الاستعمارية في طريق التوغل في الصحراء، وذلك هو مشروع مد خط السكة الحديدية من الشمال إلى الجنوب عبر الصحراء.

فقد كان الجميع مقتنعين بأن مجرد ظهور القاطرة سوف يحول مواقع الآبار إلى مدن صحراوية والواحات إلى محطات للسكك الحديدية[2]، وباختصار فإن دخول القطار

[1] إبراهيم مياسي." الصحراء الجزائرية من خلال الاستكشافات قبل وبعد الاحتلال"، *مجلة المصادر*، ع 12، الجزائر، 2005، ص 40

[2] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، مرجع سابق، ص 101-102

إلى الصحراء سيضمن انتشار البضائع ومعها الحضارة الأوروبية، في الوقت الذي يضمن فيه توغل الجيوش وإقرار النظام الاستعماري في المنطقة[1].

حيث يعود اقتراح بناء السكة الحديدية في الجزائر إلى دعاة التيار السان سيموني في فرنسا، وعلى رأسهم "بولين طلابو (Paulin. Talabot) أحد كبار رجال الأعمال المستثمرين، ثم توالت الأفكار المنادية في هذا الاتجاه على ضرورة إقامة وإنشاء السكة الحديدية في الجزائر[2].

وفكرة القطار العابر للصحراء كانت فكرة تثير شعور الملايين من الفرنسيين الذين لم يكونوا يرون فيها مجرد مخطط عمل للسيطرة والتوسع الاستعماري، بل وأيضا ملائما على المشروع الذي أنجز في الولايات المتحدة سنة 1869م، والذي يربط بخط للسكة الحديدية شواطئ المحيط الأطلسي من أوماها بشواطئ المحيط الهادي عند سان فرانسيسكو على مسافة 3000 كيلومتر[3].

وكذلك على غرار الخط العابر لكندا الذي أنجز ما بين (1878–1886م) على مسافة أربعة آلاف وسبعمائة كيلومتر، والخط العابر لسيبيريا ما بين (1891–1898م) على مسافة سبعة آلاف وخمسمائة كيلومتر[4].

[1] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، مرجع سابق، ص 101-102

[2] ضيف الله شلالي. *دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر- الجلفة أنموذجا- ما بين 1857-1962م*، مذكرة الماجستير، تخصص تاريخ: جامعة الجزائر 2، 2011-2012م، ص 34

[3] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 102

[4] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 437

كان كبير المهندسين دوبونشيل[1] أول من خطرت له فكرة السكة الحديدية العابرة للصحراء في سنة 1874م، أرسلته الحكومة في مهمة دراسية إلى الصحراء.

وعلى الرغم من أسفار المهندس عبر الصحراء لم تتجاوز مدينة الأغواط فقد وجد مادة كافية لملء مجلد في صورة تقرير عن المشروع بعنوان "دراسات تمهيدية عن السكة الحديدية العابرة للصحراء".

ونظرا لأن وزير الأشغال العمومية آنئذ فراسنيه (de Freycinet) كان يحلم بالسكة الحديدية العابرة للصحراء منذ صباه حينما كان يدرس في الكلية، أي منذ سنة 1848م، حيث قدم تقريره يوم 12 جويلية 1879م، فإنه لم يجد صعوبة في إقناع الجمهورية عن المشروع الذي اعتمده هو، قال إن "السكة الحديدية سوف تربط الجزائر بالسنغال وربط المستعمرات الفرنسية مع معظمها ونقل القوات بين الشمال والجنوب، وستفتح سوقا هائلة لمائة مليون من المستهلكين للمنتجات الفرنسية".

ينظر الملحق رقم (06)

وبعد تشكيل لجنة حكومية عليا للمشروع أوفدت ثلاث بعثات كان آخرها برئاسة الكولونيل فلاتر في سنة 1879م، كلفت بوضع تصميم للخط في جنوب قسنطينة يمتد من ورقلة بلاد طوارق آجار"[2].

[1] دوبونشيل: ولد في فلوراك سنة 1821م، مهندس أول للجسور والطرقات، نشر عدة أعمال، ومنها كتابه حول مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء، الذي لفت به انتباه الجميع. ينظر: إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934م)، مرجع سابق، ص 449

[2] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 102-103

وفلاتر هذا على الرغم من أنه عسكري المهنة فهو على كل حال لم يكن غريبا عن الصحراء، لأنه كان يشغل منصب الحاكم العسكري لمنطقة الأغواط، وكذلك قام هذا العسكري ببعض الجولات في الصحراء.

والمشكلة الأساسية التي واجهها فلاتر منذ البداية، هي تعليمات وزير الأشغال الذي كلفه بهذه المهمة تنص على أنه يجب حتما أن تكون البعثة "سلمية"[1].

وعقدت البعثة أول اجتماع بكامل هيئتها في بسكرة أول فبراير 1880م، وكانت تتكون إلى جانب رئيسها فلاتر من ضابطين برتبة نقيب وضابطين برتبة ملازم ثاني[2]. وطبيب، ومهندسين ومندوبين عن وزارة الأشغال.

ولما وصلت البعثة إلى ورقلة، وفي تيمسينين دخلت لجنة فلاتر في محادثات لأول مرة مع رجال الطوارق، وهناك عرف فلاتر أن أحد زعيمي الطوارق، وهو هيتاغل أمنيكول، زعيم الهقار يتجول في الجنوب الغربي لجبال الهقار، بينما يوجد زعيم الطوارق أجار، ايخنوكن، في منطقة غات، ونظرا لأن الأول كان بعيدا، فقد قرر فلاتر أن يطلب موعدا للاجتماع بالثاني رغم نفوذه لم تكن كثيرة فقد قرر رئيس البعثة الاعتماد عليه لضمان تعاون الطوارق مع السلطات الاستعمارية، ولهذا بعث برسالة يرجوه فيها أن يستقبله، عند منتصف الطريق من غات[3].

---

[1] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 103

[2] أحمد مريوش. "التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار"، 1916م، *مجلة المصادر*، ع 11، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، السداسي الأول، 2005م. ص 123

[3] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 104-105

وسارت البعثة في طريقها في اتجاه غات وكان الطوارق لم يبدوا لهم أي شعور عدواني نحوهم، ولما وصل فلاتر إلى المكان الذي حدد مع زعيم الطوارق أمينوكل، حطت البعثة رحالها بضعة أيام تنتظره، إلا أن زعيم الطوارق تأكد من قدوم فلاتر إلى بحيرة منغوغ المكان المحدد إلا بعد رحيل البعثة.

وكانت البعثة قد قامت في غضون هذه الرحلة بمسح 1200 كلم من الطريق المخطط للسكة الحديدية عبر الصحراء.

في الوقت الذي قامت فيه بدراسات جغرافية وجيولوجية كما سجلت ملاحظات عن أحوال الطقس والحيوان والنبات الأمر الذي كان موضع رضا اللجنة الحكومية للسكة العابرة للصحراء.

وفي هذه الأثناء وضع مشروع تمهيدي للسكة الحديدية يمتد من ورقلة وأمجيد على مسافة 600 كيلومتر [1].

على أن ما اعتبر نجاحا للبعثة لم يكن كافيا لحمايتها من حملات النقد التي كانت توجه إليها وإلى مشروع السكة العابرة للصحراء بصفة عامة في مجلس النواب، وهذا النقد أغاض فلاتر إلى حد دفعه إلى التعجيل برحلة ثانية للدراسة والمسح وقد ضمت البعثة في جولتها الثانية معظم الأعضاء الذين شاركوا في الرحلة الأولى.

[1] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 104-105

كما أضافت إليهم عناصر جديدة معظمهم من المهندسين والخبراء في مختلف المجالات وكذلك رافقت البعثة فصيلة عسكرية تتكون من خمسين من رجال القناصة الجزائرية واثنين وثلاثين من رجال القبائل الذين جندوا لمساعدة القوة العسكرية لتوفير الأمن والحماية.

وفي 4 ديسمبر 1880م، غادر فلاتر ورقلة علا رأس البعثة التي تتكون من عشرة من لخبراء الأوروبيين بالإضافة إلى القوة الحارسة التي يبلغ مجموعها 78 رجلا، واتجه في المرحلة الأولى إلى الجنوب الغربي، فمر بحاسي اينفل ليصل إلى أمجيد في 19 يناير 1881م.

وفي هذه الأثناء بعث زعيم الطوارق برجاله ليدلوا البعثة ويرشدوها في سهول امدرور، وبذلك كانت خطة الكمين محكمة للغاية[1].

وفي 16 فبراير سارت جماعة من رجال البعثة وعلى رأسهم فلاتر برفقة الدكتور جايارد عن بئر تسمى بئر الغرامة في منطقة جبلية وعرة، ولما وصلت البعثة إلى بئر الغرامة، كان في انتظارها فرسان الطوارق المدججين بالسلاح، فجرت بينهم معركة عنيفة وأصيب فيها فلاتر وقتل فيها ستة وثلاثون من رجال البعثة.

[1] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 104-105

وبعدما هرب من نجا من أفراد القوة التي كانت تدافع عن فلاتر، أعطى الملازم الأول ديانوس الأمر إلى بقية البعثة بالتراجع، وهنا تبدأ المأساة الحقيقية لهذه البعثة من الصعوبات التي واجهتهم في رمال هذه الصحراء.

وبعد مضي أسبوع على المسيرة البائسة التي لا تذكر أحدا بمنظر القطار العابر للصحراء فكل يوم تزداد حالة البعثة إلى أسوأ مما كانت عليه، وفي 28 مارس وصل عدد صغير من رجال البعثة وكانت تلك الأخبار كارثة ووقع الصاعقة في الرأي العام في فرنسا، أما بشأن فلاتر فالأخبار متضاربة هل قتل في تلك المعركة أم لا[1].

ينظر الملحق رقم (07)(14)

[1] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 105-106

2. مخططات مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء

بعد تنفيذ مشاريع السكة الحديدية بشمال الجزائر والذي انطلق من سنة 1844م، وبعد أن عمت الخطوط الحديدية على معظم تراب المناطق الشمالية كما تم إقامة عدة خطوط للسكة الحديدية في شرق وغرب الجزائر.

لذلك روجت الدوائر الاستعمارية أن دخول القطار إلى الجهات الداخلية والنائية من شأنه أن ينهض بها اقتصاديا واجتماعيا لهذا وسعت في مد الشبكة إلى التخوم الصحراوية[1].

حيث دشن الفرنسيون مشاريع النقل الصحراوي باقتراح كاباني مشروع خط حديدي يمتد من الجزائر إلى بوسعادة، ورقلة على أن يتفرع بعد ذلك إلى فرعين: واحد إلى تونس، وطرابلس، والآخر إلى عين صالح، والهقار، وذلك منذ عام 1853م.

وبعد ظهور المهندس أدولف دوبوشيل الذي اهتم منذ عام 1858م، بدراسة مشاريع المواصلات الحديدية بالصحراء، والذي تأثر بالتوسع الاستعماري الانجليزي وألح على ضرورة المنافسة الانجليزية بمد هذه الخطوط الحديدية لربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض، حيث اقترح خطا يمتد إلى الترانسفال في أقصى جنوب القارة[2].

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 438

[2] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق، ص 78

وإليه يرجع الفضل في إقناع البرلمان الفرنسي على اعتماد ثلاثة مشاريع لثلاثة خطوط عام 1880م.

وبعد تأسيس اللجنة العليا من قبل وزارة الأشغال العمومية لدراسة مشاريع السكك الحديدية بين الجزائر والسنغال، حيث ألح الضابط باريو على الأهمية العسكرية للخط الحديدي الذي يربط الجزائر بالسنغال والسودان، من أجل نقل القوات الفرنسية لمقاومة ثورات السكان وانتفاضاتهم.

كما قدم وفوست شوازي دراسة لمد طريق حديدي بين الجزائر والنيجر، وقدم أيضا كل من دوفيريي وبروسلار وماج بدراسة خاصة لخدمة مشاريع الاتصالات بين الجزائر والسينغال بواسطة القطارات الحديدية.

كما قدم كل من شوازي وباراو رولان والطبيب فيجوبير بدراسة علمية متنوعة: طوبوغرافية وجيولوجية، ومائية ومناخية وإحصائية للمناطق الصحراوية ودرسوا الشروط اللازمة لمد خط حديدي من الجزائر إلى السودان، أما يوليو فقد ألح على ضرورة إنجاز هذه الخطوط الحديدية الصحراوية حتى لا تسقط السنغال والسودان والكونغو، أو باقي تشاد، في أيدي الأعداء وخاصة من طرف الانجليز[1].

[1] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق، ص 79-80

تفاصيل دراسة مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء

كل هذه الدراسات والمخططات الفرنسية للقيام بمد الخطوط الحديدية العابرة للصحراء، وأن مشروع الخط العابر للصحراء قد شكل على ثلاث خطوط رئيسية وهي:

- الخط الشرقي عبر غدامس
- خط الوسط من ورقلة وأمقيد نحو موافق النيجر أو نحو بحيرة التشاد
- الخط الغربي عبر توات

إن خط غدامس هو الطريق الطبيعي لحوض تشاد، أما الخط الغربي عبر توات هو الطريق الطبيعي نحو تنبوكتو، لهذا نطرح هنا فكرة إنشاء خطين عابرين للصحراء، ذلك أن الخط الشرقي عبر غدامس وغات، يطرح مشاكل مع جيران للاستعمار الفرنسي بالجزائر لأنه يمر على أرضي تونسية من بوغرارة إلى غدامس وتستمر على الحدود الطرابلسية.

ينظر الملحق رقم (08)(09)(10)

لهذا تفاوضت فرنسا مع السلطة العثمانية بليبيا ليتركوا أويتن زلو للفرنسيين غدامس وغات أو على الأقل السماح لهم بالتوغل بالجهة للدراسات التقنية للخط المار على هذه النقاط[1].

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 440

وللخط الشرقي أفضلية واحدة هي أنه أقل مسافة من الخطوط الأخرى، كما أن جزءا كبيرا منه منجز من سكيكدة إلى تقرت على مسافة خمسمائة وثلاثين كيلومتر، ومن سكيكدة وبسكرة بطول ثلاثة وعشرين كيلومتر والخط من بسكرة إلى تقرت على مسافة مائتين وعشرة كيلومتر، في طور الإنجاز، وبعد ذلك إلى ورقلة، التي تصبح رأس الخط العابر للصحراء وسيجعلها ذلك عاصمة الجنوب.

أما بسكرة فستتحول إلى مركز عبور هام، تصلها السلع من أعماق إفريقيا ثم تحويلها إلى مختلف موانئ البحر الأبيض المتوسط، من مدينة الجزائر إلى مدينة عنابة بل وحتى تونس.

بالنسبة للخط الغربي فيتم إنجازه من إيغلي وتوات إلى مرفق النيجر بالرغم من أنه أطول من خط الوسط من ورقلة وأمقيد عبر تيماس ومرفق النيجر (2700 كلم عوض 2600)، إلا أنه يمر على واحات عديدة وآهلة بالسكان يمكن السيطرة عليهم بالمراقبة، بينما خط الوسط فعال للتوغل الهادئ عند التوارق حسب الدراسات الاستعمارية[1].

ولا شك أن هذا التوغل نحو الجنوب عند التوارق يبعد ويمنع الضغوطات المتزايدة على الدوائر الاستعمارية الفرنسية في الجزائر من طرف السلطات المغربية على اليمين والسلطات الطرابلسية على اليسار وهي بذلك تضمن قاعدة واسعة لعمليات العبور

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 441

المستقبل للصحراء خاصة بعد جعل كل من عين صالح وغدامس نقاط ارتكاز على اليمين واليسار، وبذلك يعتقد المعمرون الفرنسيون أنهم أمام طريق حر يمكن السير فيه مستقيما لأنه يمثل القاعدة الاستراتيجية للخط الحديدي عبر الصحراء.

وتنظر شركة الإنجاز إلى تنفيذ المشروع بعين الرضا، لأن الخط من بسكرة إلى أمقيدو على مسافة ألف كيلومتر يمتد على أرض منبسطة وما على الشركة إلا وضع القضبان بكل سهولة، خاصة من وادي ريغ وأعالي إيغرغار الذي سيكون أكبر الخطوط في الجغرافية الصحراوية.

أما خط أمقيدو فسيتعرض من الخط إلى بعض الصعوبات المتمثلة في جبال الهقار ولتفادي هذه المرتفعات يجب أن يكون هناك انعطاف وأن تكون أمقيدو مفترق للطرق باتجاه السودان، واحد على اليسار إلى التشاد، والآخر إلى اليمين إلى مرفق النيجر[1].

أما ما يعاب على هذا الخط أنه يمر على أراضي قاحلة لكنه يمر على واحات وادي ريغ أجمل وأهم واحات الصحراء الذي سيطورها ثم ينحدر إلى واحات ورقلة والتي ستطور مع الخط الحديدي العابر للصحراء، كما أنه سيعبر بعد ورقلة أراضي ومناطق

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 442-443

غنية بالمياه الجوفية والتي يجب تفجيرها حتى يعم الخير والسلام بلاد التوارق حسب رأي أصحاب المشروع.

وبما أن الخط الحديدي العابر للصحراء قد يتعدد ويتفاوت الحدود الحالية للصحراء الجزائرية فإنه يمكن لهذا المشروع جلب كل التيارات التجارية الدولية إلى الصحراء الجزائرية، لأنها تخدم التنمية المحلية والتي هي في صالح الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مع العلم أن هذا التبادل كان موجودا ما بين الجزائر والسودان قبل الاحتلال الفرنسي للبلاد، بل أن المستكشف دوفرييه قد ألفت نظر السلطات الفرنسية إلى الحركة النشطة للقوافل التجارية ما بين دول المغرب العربي ودول الهوسة السودانية عن طريق سبخة.

كما قدم السيد رولون ثمن تكلفة إنجاز الكيلومتر الواحد في الخط الوسط ب: مائة ألف فرنك، بينما التكلفة في الخط الغربي من عين الصفراء إلى إيغلي بستين أو خمسين ألف فقط، وهي الأرقام التي قدمت من طرف مهندسي المشروع[1].

ورغم التكلفة الباهظة فإن فرنسا قد عزمت على إنجاز هذا المشروع لأنها ترى فيه السبيل الفعال للاستثمار في القارة وامتداد توسعها الاستعماري وبسط نفوذها على الصحراء ومستعمراتها الإفريقية الأخرى.

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 443، 449

والملاحظ أن إنجاز شبكة الخطوط الحديدية للجزائر المقدرة بثلاثة آلاف كيلومتر وقد استغرقت أكثر من نصف قرن ولهذا يتطلب إنجاز مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء نفس الفترة تقريبا.

والمؤسف هو أن هذا المشروع سرعان ما تبخرت فكرته، خاصة بعد القضاء على بعثة فلاتر سنة 1881م، للإبادة من طرف التوارق[1]، برغم العديد من المحاولات لم ير نور الإنجاز وبقي عبارة عن حبر على ورق، وتبخر معه حلم الفرنسيين في إنجاز هذا المشروع.

والجدير بالذكر أن هذا المشروع عوض في الجزائر المستقلة بطريق معبد على طول ألفي كيلومتر ويطلق عليه طريق "الوحدة الإفريقية" لربطه مع دول إفريقية عبر مالي والنيجر[2].

[1] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 105

[2] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 443-444

3. أسباب ودوافع فرنسا من إنجاز الخط الحديدي العابر للصحراء:

لقد رأت فرنسا من إنجاز الخط العابر للصحراء عدة أسباب ودوافع هامة واستراتيجية.

* يتمثل السبب الأساسي للفرنسيين في التوسع نحو الجنوب والاستحواذ على الأراضي الصحراوية واقترن هذا التوسع الاستعماري بالتعرف على إمكانات الصحراء الاقتصادية والبشرية والمظاهر الجغرافية والاجتماعية لبسط هذه السيطرة.

* تحقيق أهداف استراتيجية وتجارية ويمكن أن نستشف ذلك من خلال قراءة التقرير الذي رفعه المارشال سولت وزير الحربية إلى الملك لويس فيليب والذي قال فيه: "يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية صنفا ثالثا من الجهات الإدارية"، فهذه المناطق الصحراوية تفتح لنا المجال في الحركة التجارية المؤمنة. كما يصف التقرير الذي أرسله الوالي العام بيجو إلى المارشال سولت في نفس الاتجاه وفيه يقول: "وبسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا آفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية.

* كذلك تسهل لوقع مخططات ومشاريع استعمارية أخرى وإقامة العديد من شبكات وطرق المواصلات الحديدية والبرية الأخرى وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل التنقل في ظروف آمنة للقوات العسكرية بين مختلف المناطق[1].

[1] التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة، مرجع سابق، ص 76-77

* استغلال الطرق الصحراوية وسيلة للسيطرة على خيرات إفريقيا من جهة واستغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات أوربا من جهة أخرى[1].

* العمل على نشر النفوذ الفرنسي بالصحراء في هدوء واجتناب المواجهة المسلحة إلى حين وإدماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم[2].

* توفير الأمن للمعمرين والمناطق التي يتواجدون بها في الشمال لأن ثورات الشعب الجزائري في الشمال كانت سببا في تحول الواحات الصحراوية في الجنوب إلى معاقل للثوار والمجاهدين للاعتصام وللمواجهة ولذلك عزم الفرنسيون على التوسع إلى أعماق الصحراء.

* كذلك العمل على ربط المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا عن طريق الصحراء بمستعمراتها في إفريقيا الغربية وخاصة السنغال التي استقر لها الأمر فيه سنة 1856-1857م، ومالي الذي احتلته سنة 1880م.

* كذلك تخوف فرنسا من التنافس الأوروبي على القارة الإفريقية وخاصة الأنجليز والألمان فرأت من الضروري إنجاز هذا المشروع الخط العابر للصحراء وهذا لضمان لها

[1] دوافع الاحتلال الفرنسي لمنطقة تقرت، السبت مايو 21، 2011م، على الساعة 7:48.
[2] صالح مختاري: أسرار الاستيطان الأوروبي على الجزائر المحروسة، 2004م،

المناطق الصحراوية ومستعمراتها الإفريقية ما وراء الصحراء الجزائرية وبذلك ضمان السيطرة التجارية[1].

* تسهيل عمليات تنقل قواتهم العسكرية الغازية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشأوها فعلا، أو التي سينشئوها مستقبلا في الواحات والمناطق الاستراتيجية.

* ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط.

* خدمة التجارة الفرنسية، وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق إفريقيا[2].

[1] التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة، مرجع سابق، ص 77-78

[2] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق، ص 75

4. أهداف ونوايا فرنسية تنفيذ هذا المشروع

* إن مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء يمثل لفرنسا العديد من المصالح والأهداف الاقتصادية والسياسية والعسكرية وحتى الحضارية.

* إنه يمثل هدفا رئيسيا وهو ربط الجزائر بإفريقيا، وكذلك ربط مستعمراتها المختلفة ببعضها البعض، عن طريق الخطوط الحديدية العابرة للصحراء، لأنها تمثل الوسائل الفعالة للتوسع الاستعماري[1].

* أنها تضمن الضغوطات الحدودية للجزائر وخاصة من طرف السلطات المغربية في اليمين والسلطات الليبية على اليسار، وذلك تضمن قاعدة واسعة للعبور للصحراء.

كذلك قدمت دراسة حديثة نشرها الاقتصاديون الفرنسيون من طرف السيد رولون (Rolland) حول الأهداف والأرباح المتوقعة للخط الحديدي العابر للصحراء: عشرة آلاف وخمسمائة فرنك.

بينما مصاريف كل قطار يوميا خمسة آلاف أو خمسمائة فرنك، وأما تقسيم السلع إلى أربعة أصناف برسوم متتالية: من صفر فرنك إلى خمسة وعشرين، ومن صفر فرنك إلى ثمانية عشر، فسنجد أن ثمن النقل إلى مرسيليا عبر الخليج والمحيط يقدر بعشرة

[1] يحي بوعزيز. *ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين*، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ج1، ص 203

أضعاف منه من نقله من الجزائر والبحر الأبيض المتوسط وبذلك يمكن للخط العابر للصحراء أن ينافس الملاحة[1].

أنه وسيلة فعالة لاستثمار أوسع بالقارة الإفريقية ويضمن لفرنسا سيطرتها المطلقة سياسيا وعسكريا على الامبراطورية المترامية الأطراف.

* كما يفتح آفاق وشرايين جديدة لكل مسافري العالم عبر القارة بطريق مباشر من البحر الأبيض المتوسط إلى رأس الرجاء الطيب.

* اعتبار الجزائر سوقا رابحا لبضائعها ومواردها.

* الاستحواذ على الثروات الطبيعية والمعدنية والطاقوية استثمارا صناعيا إلى أبعد الحدود في الصحراء[2].

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 444
[2] إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م). مرجع سابق، ص 80

حوصلة الفصل الثانـي:

جاء الفصل الثاني يحتوي على طريقة معالجة فرنسا لموضوع اختراق الصحراء وكيف وصلت إلى مشروع الخط العابر للصحراء، ومن هو مؤسسه، والدوافع الاستعمارية التي حفزت فرنسا على تنفيذ هذا المشروع.

لقد عزمت فرنسا على التوسع في الصحراء وبسط سيطرتها على مستعمراتها الإفريقية ففكرت في مشروع يضمن لها الوصول إلى أغراضها ويحقق لها مصالحها، فتفتقت قريحة باحثيها على مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء.

وهكذا دخل المشروع أروقة السلطة التي قررت البحث عن الطرق الكفيلة بتنفيذه، فعهدت إلى التقنيين بدراسة الأمر فوصوا إلى نتائج شجعتهم على المضي قدما نحو إنجاز هذا المشروع الضخم.

وبعد ذلك ننتقل إلى الفصل الموالي الذي يكشف عن أسباب فشل هذا المشروع.

الفصل الثالث:

المعوقات التي حالت دون تنفيذ فرنسا لمشروع السكة الحديدية

تمهيد:

أولا: المعوقات الطبيعية

ثانيا: المعوقات المالية والاقتصادية

ثالثا: المعوقات السياسية والسوسيوثقافية

رابعا: أسباب فشل دراسات الباحثين لهذا المشروع وعدم الاهتمام بها

خاتمة

المعوقات التي حالت دون تنفيذ فرنسا لمشروع السكة الحديدية

تمهيد:

لقد ساهمت عدة عوامل في عرقلة تنفيذ مشروع الخط العابر للصحراء الذي خطط له الاستعمار الفرنسي كثيرا من أجل الوصول إلى السيطرة على كامل الصحراء وربط مستعمرات فرنسا الإفريقية ببعضها.

1. المعوقات الطبيعية:

إن المشرفين على هذا المشروع واجهتهم عدة عوائق طبيعية، وذلك لصعوبة البيئة الصحراوية، ووعورة تضاريسها ومناخها ومساحتها الشاسعة ويمكن ذكرها كالتالي:

* حيث واجه القائمون على هذا المشروع مشكلة الحدود للصحراء الجزائرية، وهذا من خلال الخط الشرقي عبر غدامس لأنه يمر على أراضي تونسية من بوغرارة إلى غدامس، إلى الحدود الطرابلسية، وهنا يطرح مشاكل مع جيران للاستعمار الفرنسي بالجزائر وهذا ما يلزمه التفاوض مع العثمانيين في ليبيا.

كذلك وجد المشرفون صعوبة في طول المسافة بين منطقة وأخرى، وهذا من خلال الخط الغربي عبر توات، فهو يمتد من توات إلى مرفق النيجر.

كما أن هذا المشروع يمر على العديد من المناطق القاحلة والوعرة مثل مرتفعات الهقار علاوة على ندرة المياه[1].

من كل هذا يمكن أن نلخص صعوبة البيئة الصحراوية فيما يلي:

أهمها ندرة المياه إن لم نقل انعدامها في بعض المناطق، وكذلك وجود أراضي صحراوية قاحلة بدون ثروات طبيعية وليست آهلة بالسكان مما يشكل خطرا كبيرا على حياة الباحثين، وقساوة[2] المناخ حيث ترتفع درجة الحرارة لتصل حدا لا يستطيع الفرنسيون تحمله

[1] إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 441

[2] محمدو بن محمذن: الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، ع 20، 2003م، ص 163

إلا بمشقة، إذ تتجاوز الخمسين في بعض الأحيان، هذا فضلا عن عزلة المناطق الداخلية وبعدها وصعوبة التنقل عبر المنطقة لانعدام الطرق الآمنة والمعروفة.

وهبوب الرياح العنيفة والعواصف الهوجاء الساخنة، ووجود الحيوانات الخطيرة والمفترسة، كذلك وجود الحشرات السامة الموجودة تحت الرمال، وبعض البرك الملوثة، ووجود وانتشار بعض الأمراض الفتاكة نتيجة الجراثيم والمكروبات كحمى الملاريا والحمى الصفراء والإسهال.. ألخ

حيث يقول الدكتور وليام بالفور باكي (William Balfour Baikie)، سنة 1854م، وهو يعبر على طبيعة الصحراء الإفريقية: القارة السمراء "مقبرة الرجل الأبيض".

ومن هنا فإن الصحراء كما يقال "تفترس من لا تعرفه"[1].

2. المعوقات المالية والاقتصادية:

لقد كانت العراقيل المالية والاقتصادية لفرنسا العائق الكبير الذي وقف أمام وجه فرنسا لإنجاز هذا المشروع وذلك لعدة أسباب وهي:

حيث أن السبب الأول والرئيسي هو تكلفة هذا المشروع الباهظة والتي تتطلب تكاليف مادية ضخمة، وأن مدة الإنجاز شبكة الخطوط الحديدية للجزائر والمقدرة بثلاثة آلاف كيلومتر قد استغرقت أكثر من نصف قرن ولهذا يتطلب إنجاز مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء نفس الفترة تقريبا.

وعلاوة على هذا أن فرنسا متدهورة اقتصاديا وماليا، جراء الخسائر المالية الكبيرة والبشرية وذلك لمشاركتها في الحربين العالميتين الأولى والثانية.

[1] محمدو بن محمذن: الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، ع 20، 2003م، ص 164

وكذلك مع تطور حركة علم والطيران جعلت الفرنسيين يجمحون عنها وذلك لقلة تكاليفها وسرعة هذه المواصلات مقارنة بهذه الخطوط الحديدية[1].

3. المعوقات السياسية والسوسيوثقافية:

لقد تعرضت فرنسا إلى عدة صعوبات كانت سببا في فشل مشاريعها ومخططاتها في الصحراء وخاصة منها مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء ويمكن حصر المعوقات السياسية والسوسيوثقافية كالتالي:

1.3 العراقيل السياسية: حيث عرفت فرنسا في تنفيذ مشروعها ظروفا وصعوبات كثيرة في الصحراء الجزائرية، وإذا تحدثنا عن ظروف سياسية سواء داخل الجزائر أو خارجها، التي كانت سببا في فشل الحكومة الفرنسية في تنفيذها لهذا المشروع الضخم.

حيث أن فرنسا لما أرادت أن توسع موجتها الاستعمارية، وأن تفرض سيطرتها وأطماعها على الصحراء الجزائرية كان أول عائق واجهها في قيام سياستها الاستعمارية هي تلك التشكيلات الاجتماعية للجنوب الجزائري، حيث كانت تجمعه مثمنات دينية وعرقية ومبدأ الجماعة أكثر مما كان متماسكا سياسيا واقتصاديا أو اعتبارات ومستويات حكومية، فهنا فرنسا وجدت صعوبة كبيرة في خلق كيان ونظام سياسي وإداري في الصحراء في تطبيق سياستها القانونية وخلق كيان اجتماعي جديد[2].

[1] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق، ص 81

[2] التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة، مرجع سابق، ص 67

ولعل هذه الصعوبة التي واجهت فرنسا هنا، هي رفض أهل الصحراء التوسع الاستعماري وزحف فرنسا إلى المناطق الجنوبية وإلى رفضه لسياسة المشاريع الفرنسية ومن بينها الخطوط العابرة للصحراء[1]، وذلك بنشوب عدة مقاومات وانتفاضات شعبية مناهضة لهذا الأمر[2].

فكانت بدايتها مع مقاومة أهالي الزعاطشة سنة 1846م، ومقاومة الشريف محمد بن عبد الله بواحات الأغواط وتقرت وورقلة سنة 1851م، وكذلك انتفاضة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني سنة 1869م، وانتفاضة الشريف بوشوشة سنة 1870 إلى 1874م، ومقاومة الشيخ المقراني سنة 1871م، وكذلك مقاومة الشيخ بوعمامة سنة 1881م.

وعرفت مناطق الهقار مقاومات شعبية عنيفة رافضة للتواجد الفرنسي ومخططاته الاستعمارية، ومن أولى المعارك الكبرى التي تزعمها التوارق معركة وادي "إن هاون" سنة 1881م، وكذلك نشوب ثورات أخرى في منطقة الطاسيلي معادية لسياسة المشاريع الفرنسية في الصحراء منها ثورة الشيخ آمود بن مختار سنة 1881م أيضا، واندلاع معركة وادي تهراق سنة 1916م، وتمكن فيها التوارق من القضاء على حملة القائد تيري، ومقاومة الزعيم إبراهيم آق أبكدة•، وكان من أكبر المعارضين للاستعمار الفرنسي.

[1] التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة، مرجع سابق، ص 67

[2] بشير بلاح: *تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)*، ج1، الجزائر : دار المعرفة، 2007م، ص 125

• هو زعيم المقاومة عند التوارق، ولد سنة 1885م، وقاد عدة معارك كبيرة ضد الفرنسيين سنة 1916م، كما شارك في ثورة التحرير الكبرى وأدرك الاستقلال الوطني، وتوفي بعده بأسبوع واحد. ينظر: محمد لحسن زغيدي: شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثورة التحريرية. منشورات الحبر، ط1، 2009م، ص 17-32

وكذلك قام التوارق بعدة تحالفات مع السنوسيين ضد الفرنسيين والإيطاليين في فزان وغات، ومن أهم تحالفاتهم محاربة العابد السنوسي للفرنسيين جنوب الهقار سنة 1916م، وانتهت بقتل شارل دي فوكو بتمنراست.

ومن كل هذا يمكن أن نستنتج دور هذه الانتفاضات والتحالفات التي حالت أمام زحف الاستعمار ورفضه لمشاريعه ومخططاته وهو:

ينظر الملحق رقم (11)

* إضفاء الطابع الوطني لهذه المقاومات، وتلاحم القبائل مع بعضها البعض لمقاومة التوسع الفرنسي الهادف لاستكمال احتلال الجزائر شمالا وجنوبا[1].

* تعميق التلاحم الوطني في إقليم الجنوب الكبير والتصدي لمشروع التقطيع الإقليمي الذي راهنت عليه الإدارة الاستعمارية.

* الرفض القاطع لسياسة الإلحاق الثقافي والديني.

* تعلق الجنوب الكبير بمبادئ الجامعة الإسلامية* وتعاون التوارق مع الحركة السنوسية التي رفضت الهيمنة الاستعمارية سواء في الأراضي الليبية أو الجزائرية.

* تثبيت التوارق للحدود الجزائرية عبر الجنوب الكبير وتمسكهم بأرضهم واستقرارهم بها كل ذلك ساعد فيما بعد على ترسيم الحدود الإقليمية مع البلدان المجاورة لها.

[1] مقدمة من مذكرة شارل دي فوكو: الأطماع الأوروبية في الصحراء وسياسة فرنسا في الهقار: الاهتمامات الاستعمارية في الصحراء.

* تيار سياسي برز في القرن التاسع عشر الميلادي، لتدارك سقوط الخلافة واستثمار عوامل الوحدة الإسلامية والروابط التاريخية والحضارية بين الدول الإسلامية، نادى به السلطان عبد الحميد الثاني ومن أشهر المنادين به الشيخ جمال الدين الأفغاني. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 18

* تزايد الوعي السياسي الوطني المعادي وذلك بظهور عدة تشكيلات وأحزاب سياسية معادية للاستعمار الفرنسي[1].

فضلا عن هذه الظروف الداخلية التي واجهت فرنسا، هناك أسباب خارجية أخرى:

* الانقلاب الذي قام به السياسيون ضد النظام الامبراطوري وإعلانهم قيام الجمهورية الثانية في تاريخ فرنسا يوم 4 /1870/9م، وقوع فرنسا في فوضى وتطاحن بين المدنيين والعسكريين حول الحكم[2].

* كذلك مشاركة فرنسا في الحرب العالمية الأولى والخسائر المادية والبشرية الكبيرة.

* ازدياد الوعي السياسي والوطني للشعوب الإفريقية والآسيوية المناهضة للتوسع والوجود الاستعماري[3].

2.3 المعوقات السوسيوثقافية:

لم يكن للمستكشفين الفرنسيين أو القائمين على هذا المشروع مواجهة الظروف الطبيعية القاسية أو تلك العراقيل الأخرى بل إن التعامل مع السكان المحليين في بعض الأحيان أدهى وأمر، حيث تظافرت جملة من العوامل الثقافية والاجتماعية والبشرية بعضها يتصل بالدين والبعض الآخر باللغة[4].

[1] مقدمة من مذكرة شارل دي فوكو: الأطماع الأوروبية في الصحراء وسياسة فرنسا في الهقار: الاهتمامات الاستعمارية في الصحراء.
[2] جمعية الانتفاضة 27 فبراير 1962م التاريخية بورقلة: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة، مرجع سابق، ص 45
[3] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق، ص 81
[4] محمدو بن محمذن: الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)، مجلة العلوم الإنسانية، ع 20، 2003م، ص 164

وقد تمثلت هذه العوائق والحواجز ساهمت في غلق المناطق الداخلية أمام التوغل الفرنسي أي ظهور جملة من المقاومات الشعبية وكذلك الوازع الديني والعقيدة الإسلامية السمحة الذي كان يجمع سكان الصحراء فيما بينهم في هذه الأرض القاحلة والقاسية حيث كان الرابط الذي يجمع شملهم ويوحدهم تحت لواء واحد هو الإسلام والجزائر[1].

كذلك تمثلت اللغة بدورها عقبة أمام الفرنسيين الذين يجهلون في غالبيتهم العظمى اللغة العربية، مما جعل تعاملهم مع سكان الصحراء مسألة مستعصية، ولم تسلم محاولات تجاوز هذا الحاجز عن طريق كتابات المترجمين، كذلك عادات وتقاليد المنطقة الصحراوية التي ساهمت بشكل كبيلر في زيادة هذا العائق[2].

بذلك شكلت هذه السياسات التي انتهجتها المناطق الصحراوية في مقاومتها للاستعمار الفرنسي أن تكون حاجزا حال دون تحقيق فرنسا لمشروعها التوسعي نحو الصحاري الإفريقية عن إرسال بعثات استكشافية كللت في معظمها بالفشل، ما كان أمام الاستعمار الفرنسي إلا اللجوء إلى سياسة الغزو الروحي بتشجيع حملات التنصير في الجنوب[3].

4. أسباب فشل دراسات الباحثين لهذا المشروع وعدم الاهتمام بها:

هو أن معظم المكتشفين والباحثين لهذا المشروع واجهتهم عدة صعوبات وذلك من خلال تعرض بعثاتهم وحملاتهم إلى الفشل، وهذا راجع إلى أسباب وظروف عديدة:

حيث أن العامل الأكبر والمهم التي واجهت الباحثين في بعثاتهم هي صعوبة الطبيعة الصحراوية القاسية.

---

[1] جلال يحيى: السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1909م)، دار المعرفة، القاهرة، 2009م

[2] محمدو بن محمذن. "الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)"، *مجلة العلوم الإنسانية*، ع 20، 2003م، ص 164

[3] مقدمة من مذكرة شارل دي فوكو: الأطماع الأوروبية في الصحراء وسياسة فرنسا في الهقار: الاهتمامات الاستعمارية في الصحراء.

وحيث أن معظم الدارسين والباحثين لهذا المشروع يجهلون البيئة الصحراوية وليس لديهم دراية أو خبرة كافية للتعامل مع هذه الظروف القاسية، وهذا ما شهدته بعثة فلاتر الاستطلاعية لهذا المشروع، بعد هزيمتهم عند بئر الغرامة من طرف التوارق، ومن تبقوا على قيد الحياة وجدوا أنفسهم أمام أرض رملية قاحلة لا تسمع فيها إلا عواء الذئاب ولا تتحرك في جنباتها سوى الضباع والحشرات السامة.

وبعد مضي أسبوع على المسيرة البائسة التي لا تذكر أحدا بمنظر القطار العابر للصحراء نفذ زاد الفارين فراحوا يذبحون الكلاب التي كانت ترافقهم ليقتاتوا بلحمها ولم يبق لهم للطعام سوى الأعشاب الصحراوية[1].

ولكن المأساة الحقيقة قدر لها أن تتحول إلى أعمال لا مثيل لها في الفظاعة والوحشية فإن الذين بقوا على قيد الحياة من أعضاء البعثة البائسة راحوا يأكلون لحوم الموتى من زملائهم لسد الرمق، ولما سقط رقيب الخيالة بويجين ميتا من الجهد والعياء، انقض زملاؤه في البعثة على لحمه الذي لا يزال ساخنا[2].

أما العامل الثاني الذي لا يقل أهمية على الأول الذي كان سببا في فشل الحملات الاستطلاعية للمستكشفين والدارسين وخاصة لهذا المشروع هو تعرض البعثات والدراسات إلى الهجومات ومقاومة الجزائريين في أعماق الصحراء وذلك بظهور عدة مقاومات شرسة ومعادية لهذه البعثات وخاصة من طرف التوارق، مثل تعرض بعثة فلاتر هو وزملاؤه سنة

[1] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 105-106
[2] إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 105-106

1881م، التي كانت في مهمة استطلاعية وتخطيطية لمشروع الخط العابر للصحراء، حيث تعرضت للهجوم من طرف التوارق في بئر الغرامة سنة 1881م، وهناك قام التوارق بقتل فلاتر ورفاقه في هذه المهمة مثل: روش، وقيار، وماسون، ودونري، وديانتر.

وكذلك مهد مقتل فلاتر ورفاقه لسلسلة أخرى من الصعوبات التي كانت سببا في فشل مخططات الاستعمار في الصحراء، حيث تعرضت الكثير من البعثات البحثية والاستكشافية الفرنسية إلى اغتيالات من طرف التوارق، مثل بعثة الرهبان الثلاثة، ريشارد (Richard)، وبوبلار (Pouplard)، وموراً (Morat)، سنة 1881م، وكذلك اغتيال حملة الضابط بالا (Palat)، والضابط كاميل دول (Camille Douls) عام 1889م[1].

كما تعرضت هذه البعثات والحملات إلى مقاومات عديدة في عدة مناطق صحراوية التي كانت كلها معارضة لهذه الحملات والتوسع الاستعماري في الجنوب.

وهنا نخص بالذكر مقاومة الشيخ بوعمامة حيث عبرت الشيخ بوعمامة والقبائل المساندة له عن رفضهم لإقامة مشروع الخط العابر للصحراء في الجنوب الغربي المعلن عنه سنة 1879م[2].

كل هذه الظروف والأسباب وقفت عائقا في وجه الفرنسيين في إنجاز هذا المشروع بغض النظر عن الظروف والصعوبات المالية والتكاليف الباهظة لإنجاز هذا المشروع كلها كانت حجر عثرة أمام السلطات الفرنسية والباحثين في فشل مخططات هذا المشروع الضخم

[1] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، مرجع سابق، ص 69
[2] العربي منور: تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 261

وبقي مجرد حبر على ورق وتلاشت معه أحلام الملايين من الفرنسيين تأسف وحسرة الدارسين والباحثين هذا المشروع.

حوصلة الفصل الثالث:

جاء الفصل الثالث لعرض الأسباب التي أدت إلى فشل مشروع الخط العابر للصحراء والذي يتمثل في الطبيعة والإنسان؛ فعدم تعود الفرنسيين على العيش في الصحراء بظروفها الطبيعية القاسية، وكذلك رفض إنسان الصحراء للوجود الاستعماري الغريب وكيف قاومته مختلف القبائل بكل ما في وسعها.

كما أن تكلفة المشروع كانت باهضة وتتطلب مدة زمنية طويلة، وكانت المقاومات الشعبية من وقت مبكر ترفض التوغل الفرنسي في الصحراء، فلم تتوقف الثورات لمدة تقارب القرن، من بلاد الزاب إلى أقاصي بلاد التوارق.

كما أن عدم الاستقرار السياسي في فرنسا نفسها وتداعيات اشتراكها في الحرب العالمية الأولى والخسائر المترتبة عنها؛ كل ذلك أدى إلى تعطيل المشروع أو توقيفه.

الخاتـمة

خاتـــــمة:

وجدت فرنسا رفضا قاطعا لوجودها في الجزائر منذ أن وضعت قدميها على أرض الجزائر الطاهرة؛ ولكن طمعها في نهب خيرات البلاد واستغلال كنوز الصحراء، ففكرت في مشاريع للوصول إلى أغراضها.

وكان أكبر مشروع هو مشروع خط السكة الحديدية العابر للصحراء والذي من خلاله تستكمل توسعها وسيطرتها على بقية المناطق الصحراوية.

هذا ما يسمح لها بنهب خيراتها وإمكانياتها الطبيعية الضخمة واستغلالها.

وأن توسع نطاق تجارتها وتصل بين مختلف مستعمراتها في القارة الإفريقية.

وهذا من خلال ربط الجزائر بمستعمراتها الإفريقية ومن ثم تكوين امبراطورية فرنسية ضخمة على القارة الإفريقية للمنافسة الخارجية الأوروبية.

ورغم كل الدراسات العلمية والتقنية والميدانية التي أنجزتها فرنسا لتنفيذ مشاريعها الاستعمارية؛ فإن هذا المشروع فشل فشلا ذريعا نتيجة تظافر الطبيعة والإنسان في هذه الصحراء.

فلقد قاومت الطبيعة الصحراوية القاسية كل الغزاة فلم يستطيعوا الحياة فيها ولا البقاء بين جنباتها؛ وقاومهم الإنسان أيضا بكل شراسة في كل مكان دون هوادة، وقضى المقاومون على كل البعثات الاستكشافية فلم ينج منهم إلا القليل.

وهكذا فشل مشروع السيطرة على الصحراء وثرواتها، وأخذت فرنسا تفكر في مشاريع أخرى..

وقد يحل لنا أن نتساءل: ماذا لم نجحت فرنسا في هذا المشروع"؟

لو نجحت فرنسا في مد الخط العابر للصحراء لتمكنت من السيطرة الكاملة عليها وعلى ثرواتها ولتمكنت من السيطرة على مستعمراتها الإفريقية في ظرف وجيز.

ولكن كان الفضل للصحراء، بطبيعتها وإنسانها في إفشال المخططات الاستعمارية الضخمة.

الملاحـــق

الخـرائط

الملحق رقم (01)

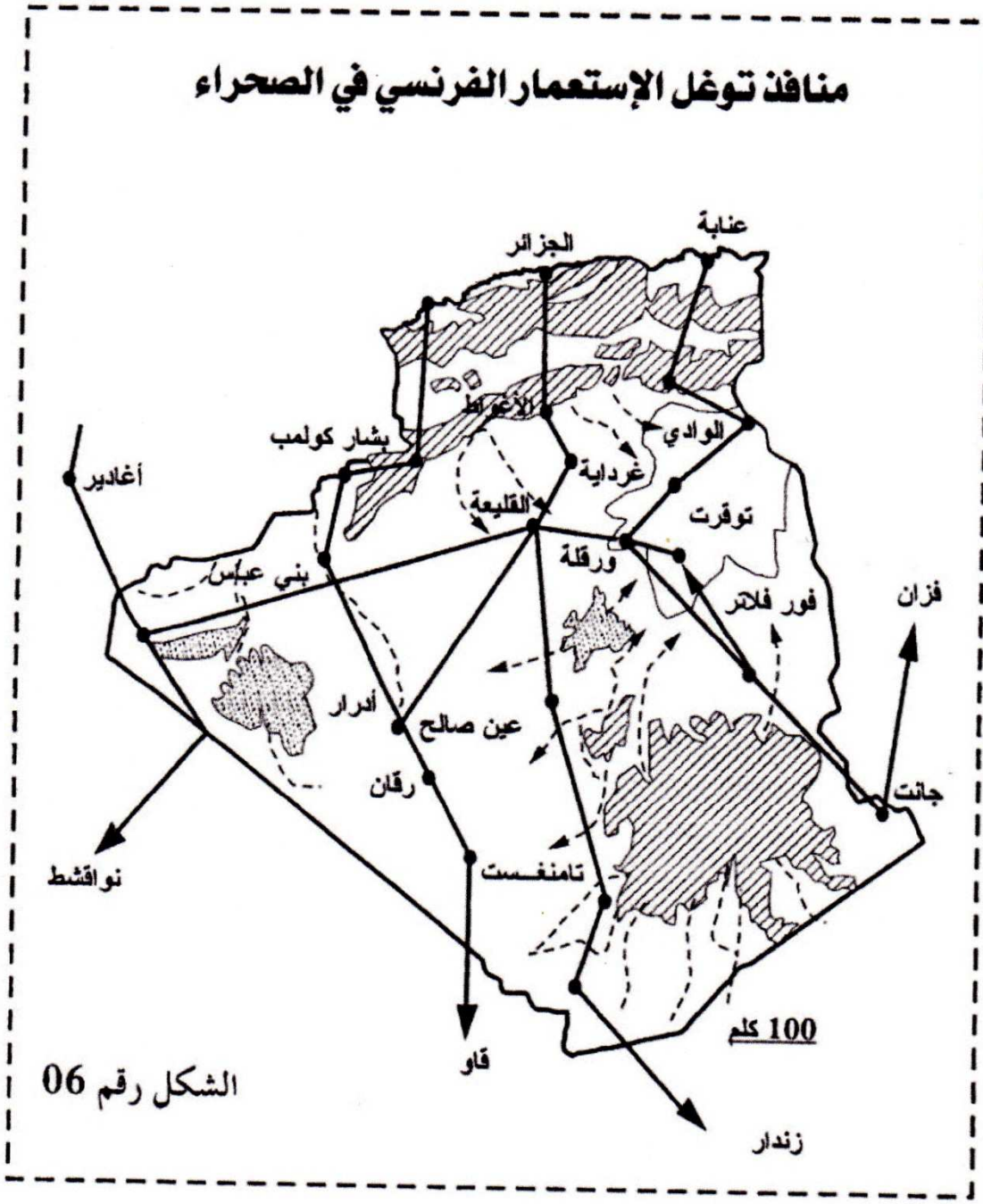

عميراوي حميدة وآخرون، مرجع سابق، ص 160

الملحق رقم (02)

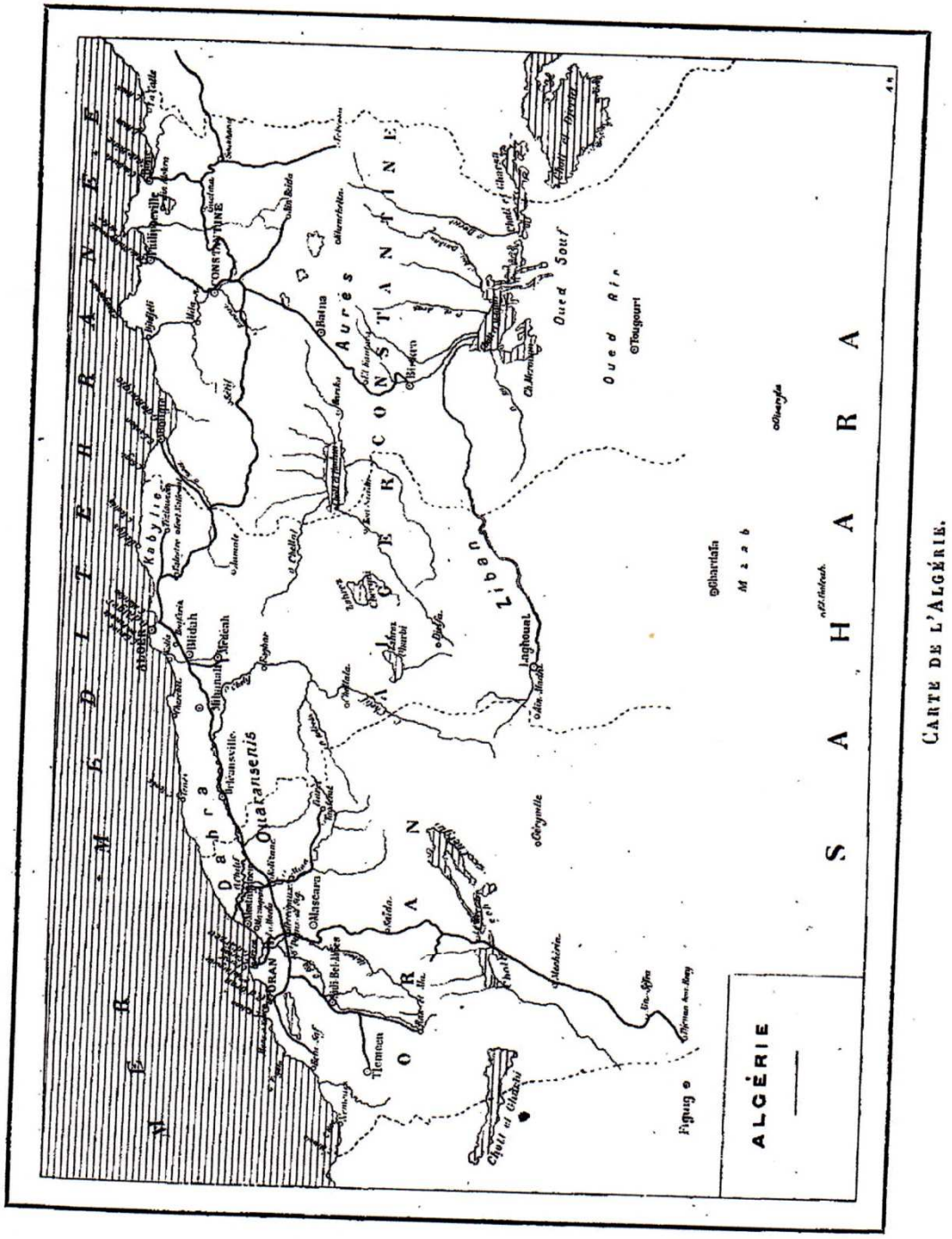

Foureau, Fernand (1850-1914). Excursion dans le Sahara algérien extrait du carnet de route. 1883; p 109

خريطة عامة للجزائر

الملحق رقم (03)

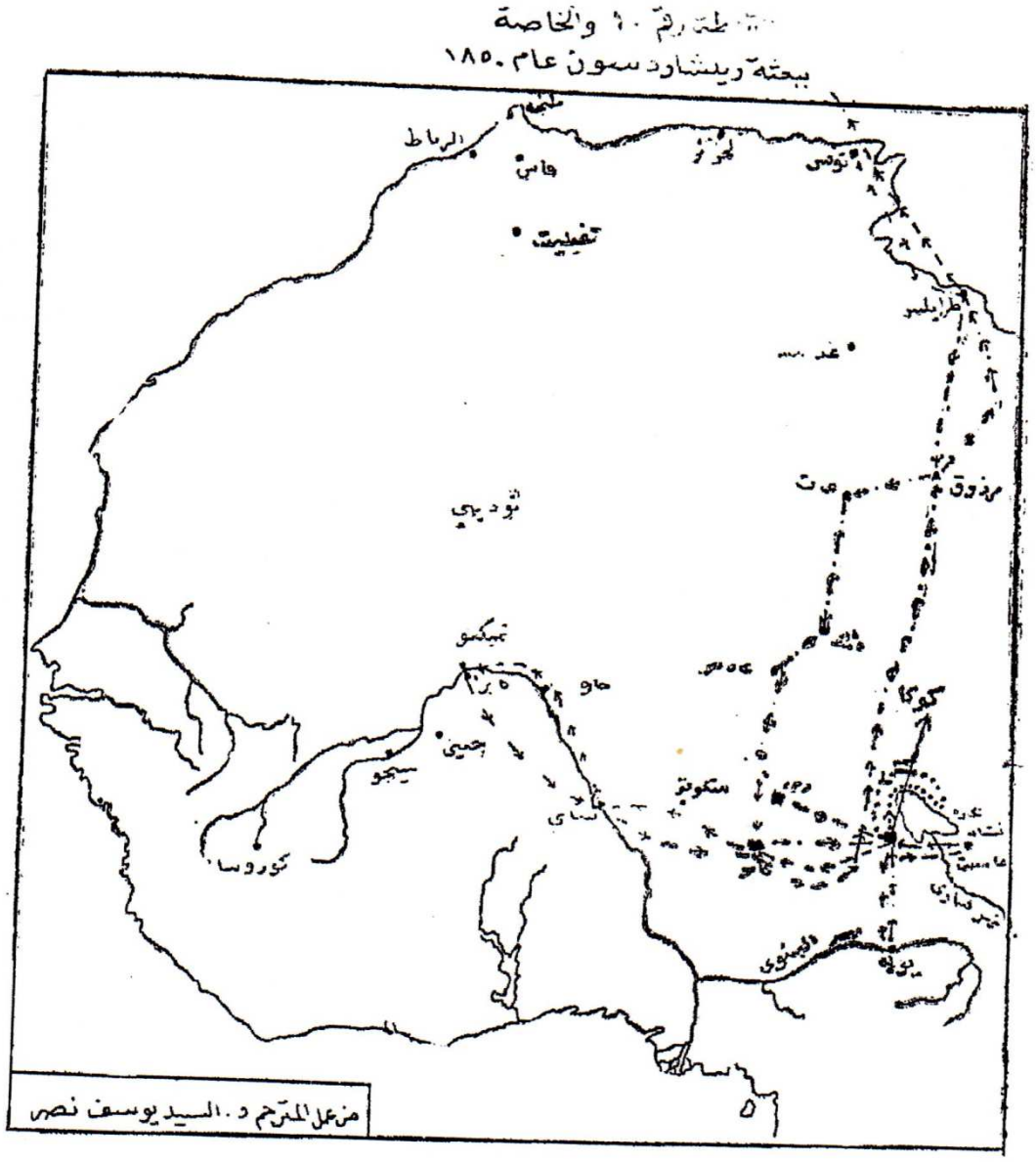

جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، تر: يوسف نصر. دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص 190

خريطة تمثل بعض الرحلات الفرنسية من خلال عبورها نحو مناطق الصحراء الجزائرية

الملحق رقم (04)

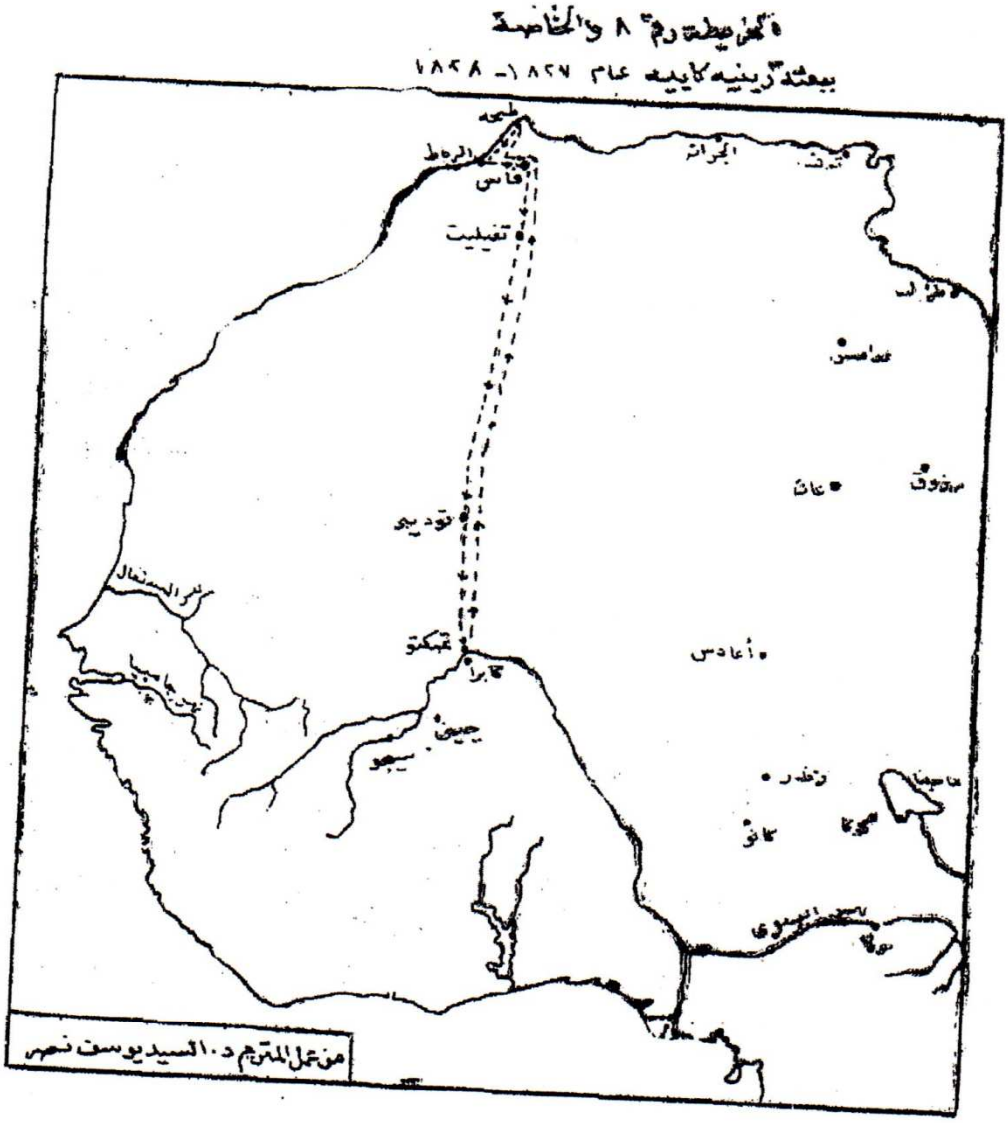

بدأ رينيه كايبه رحلته عام ١٨٢٧ من طنجه فالرباط ففاس فتافليت فتودينى تمبكتو ، التى مكث بها أربع عشر يوما ، واستغرقت رحلته ١٨ شهرا ، قطع مسافة طولها ٢٥٠٠ ميل .

جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، تر: يوسف نصر. دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص 165

الملحق رقم (05)

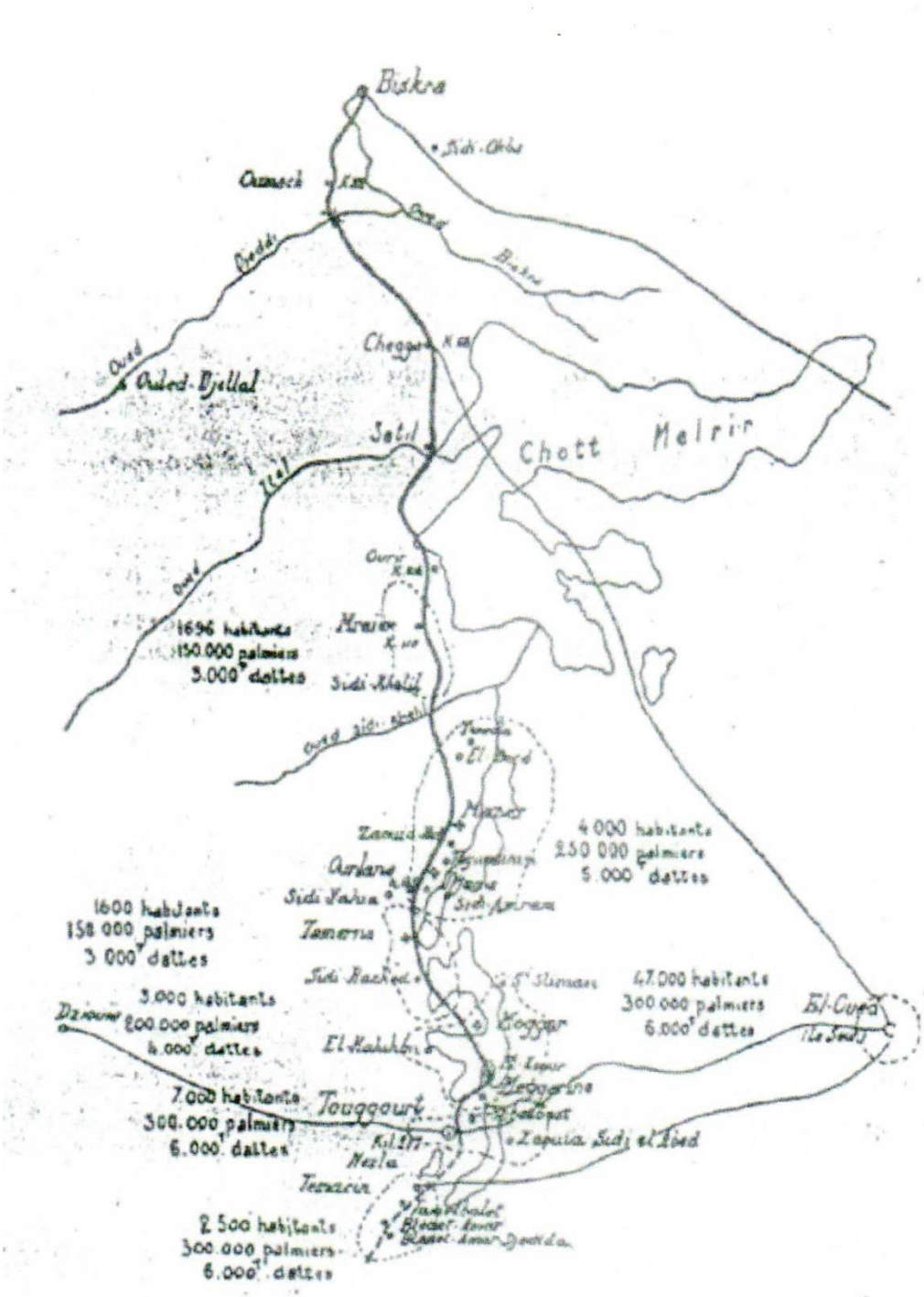

خريطة المسالك ما بين سوف واد ريغ وبسكرة

زقب، عثمان: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005–2006م، ص 237

الملحق رقم (06)

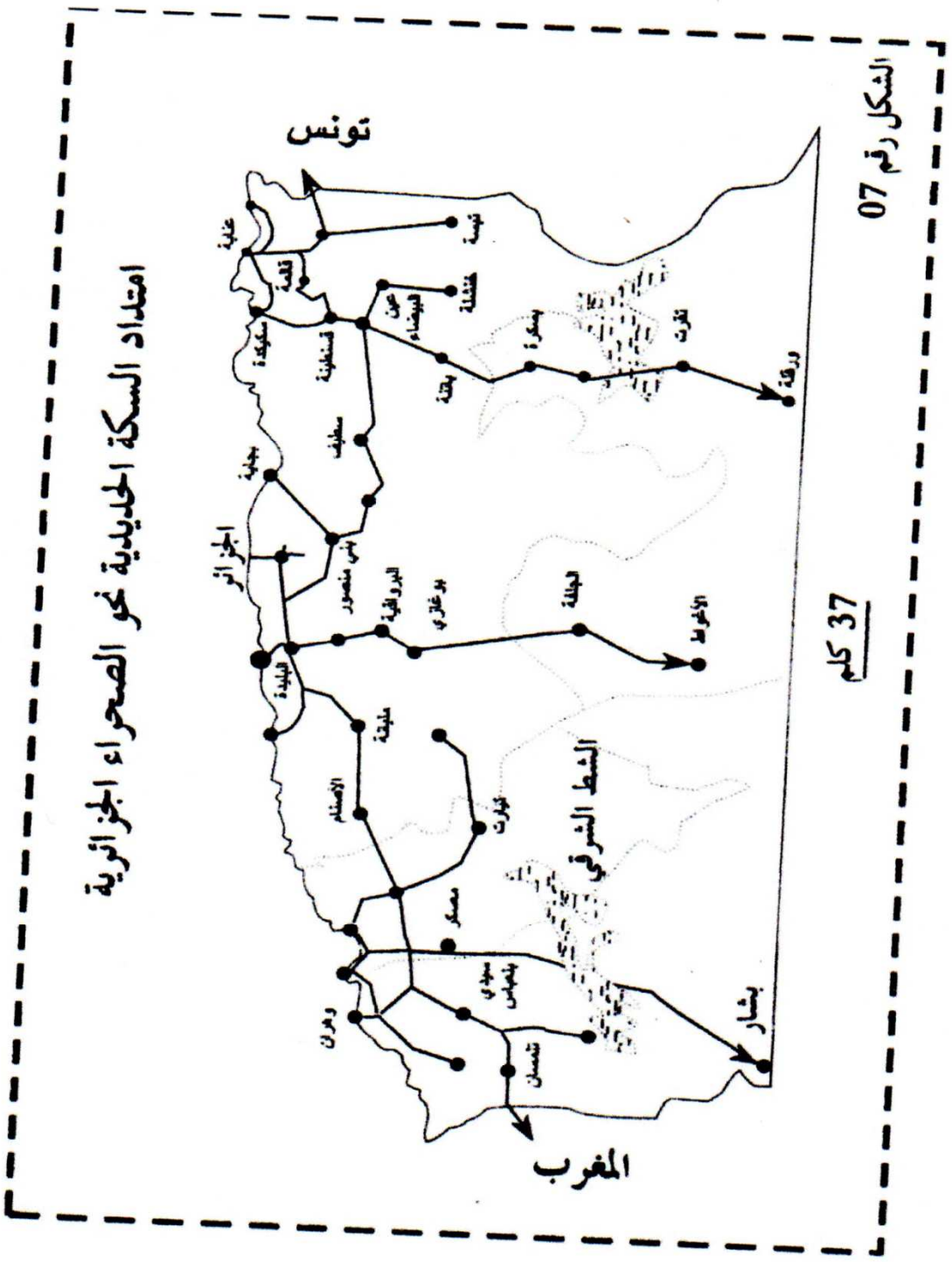

عميراوي حميدة وآخرون، مرجع سابق، ص 161

الملحق رقم (07)

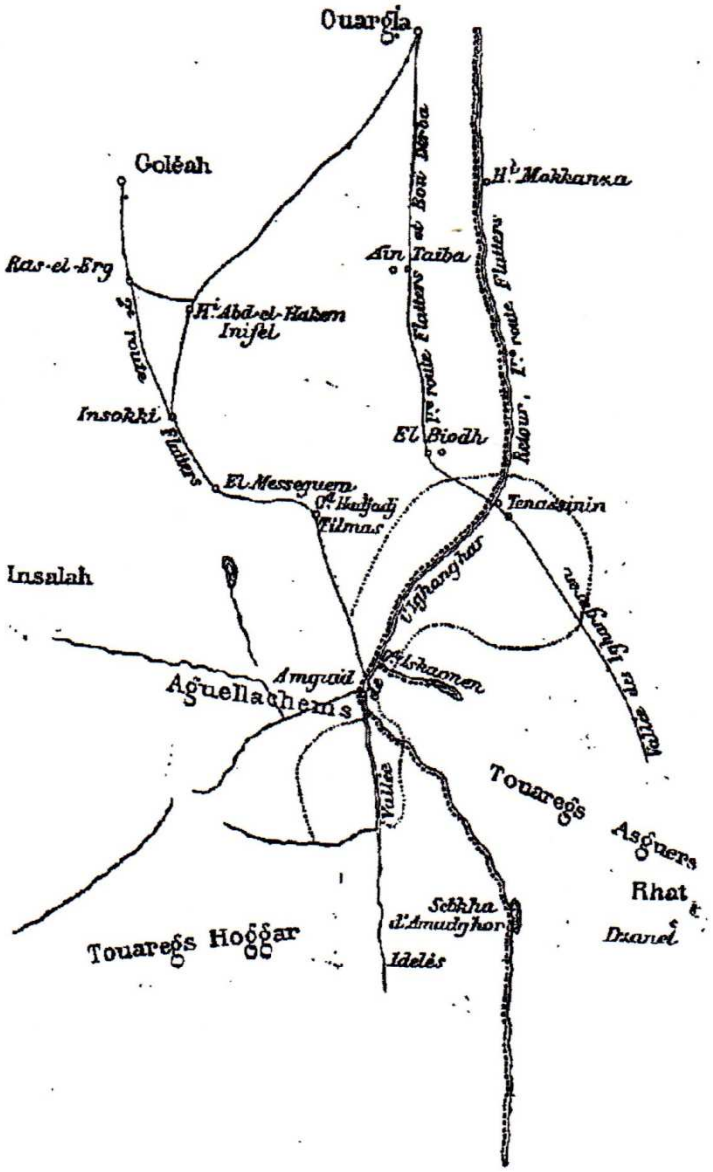

Philebert, Charles (1828-19..). Création de postes sur la route du Soudan, par le général Philebert. 1890 ; p 54

خريطة توضح المسالك والمعابر للمناطق الصحراوية

الملحق رقم (08)

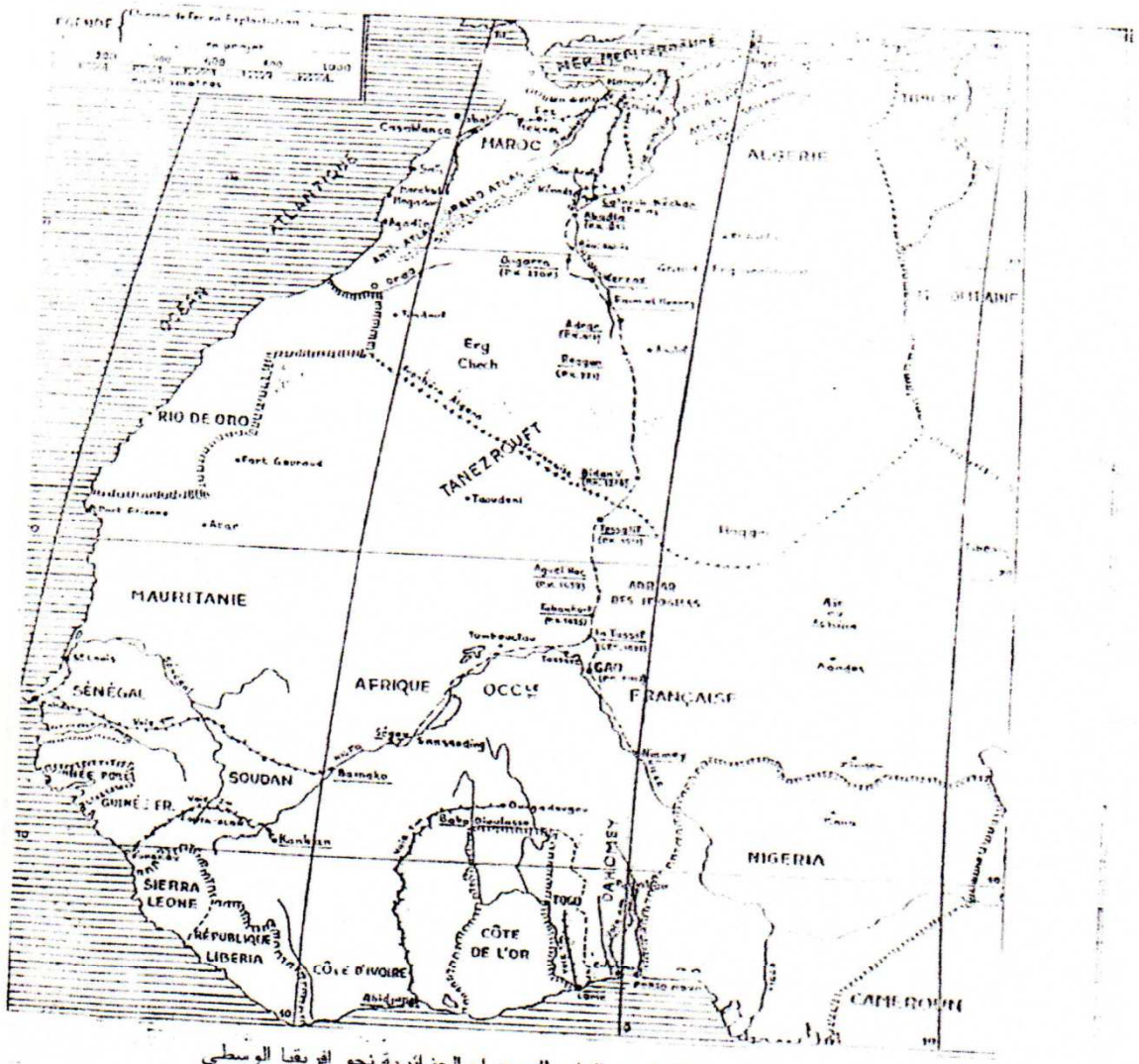

خريطة توضح طريق السكة الحديد العابر الصحراء الجزائرية نحو إفريقيا الوسطى

عثمان حساني: مرجع سابق، ص 152

خريطة توضح طريق السكة الحديدية العابر للصحراء الجزائرية نحو إفريقيا الوسطى

الملحق رقم (09)

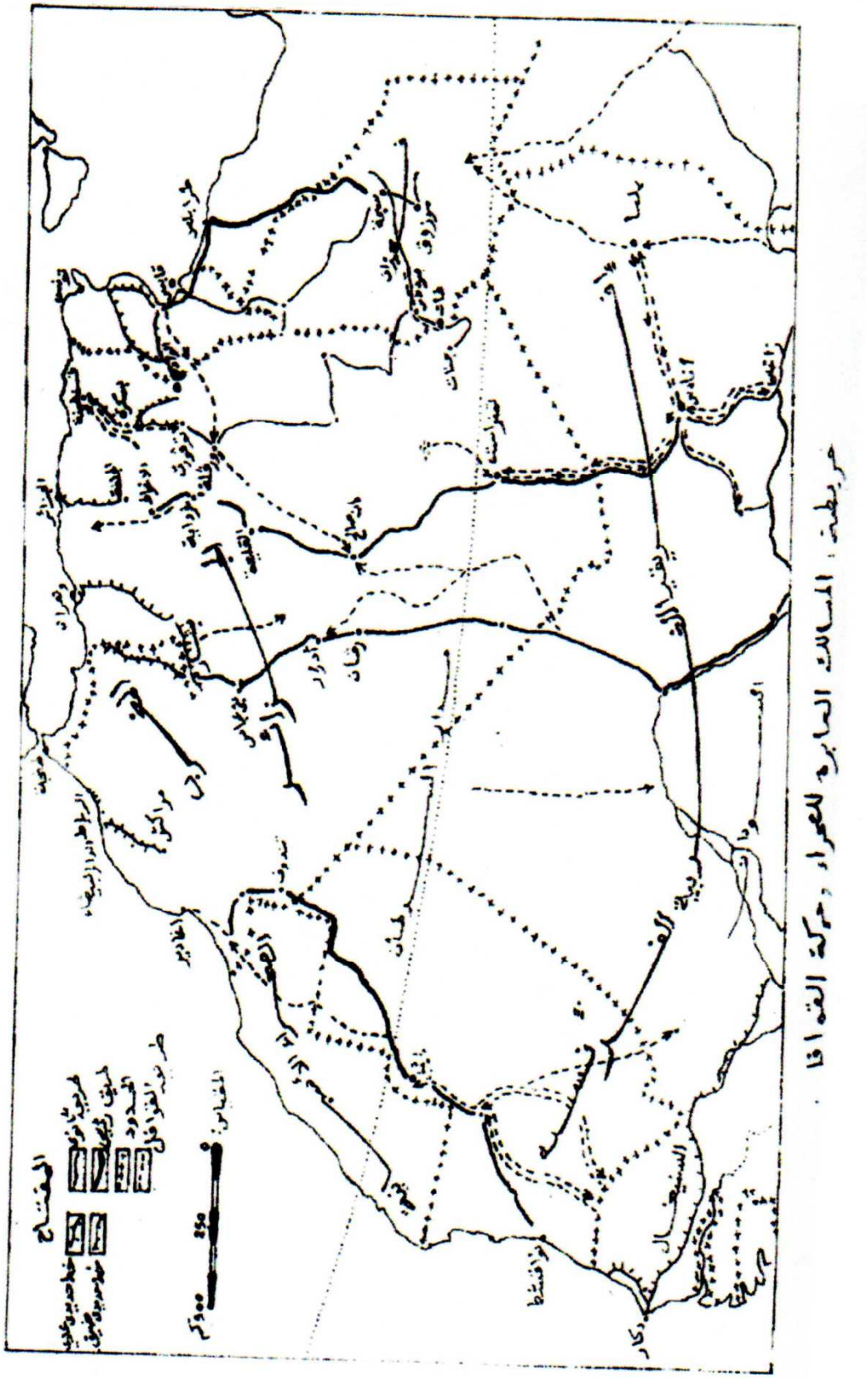

إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934. مرجع سابق، ص 613

الملحق رقم (10)

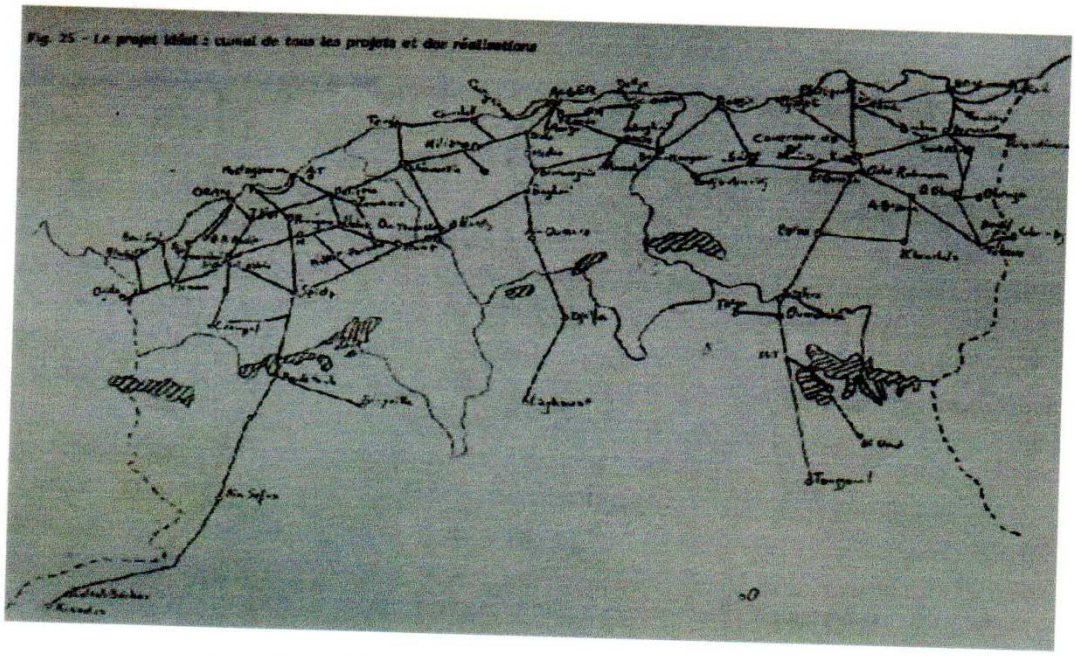

مخطط ضم كل خطوط السكك الحديدية المنجزة من المشاريع الفرنسية
من 1857 إلى غاية 1962

ضيف الله شلالي: دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر، الجلفة أنموذجا، ما بين 1857- 1862م، ص 186

الملحق رقم (11)

خريطة توضح مجال انتشار الحركة السنوسية في إفريقيا وآسيا

سعود دحدي: البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931م). رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009-2010م، 160

الصـور

الملحق رقم (12)

FORAGE D'UN PUITS DANS L'OUED RIR.
(D'après une photographie communiquée par M. Jean Dybowski.)

Foureau, Fernand (1850-1914). Excursion dans le Sahara algérien extrait du carnet de route. 1883; p 111

صورة توضح نمط معيشة أهل الصحراء

الملحق رقم (13)

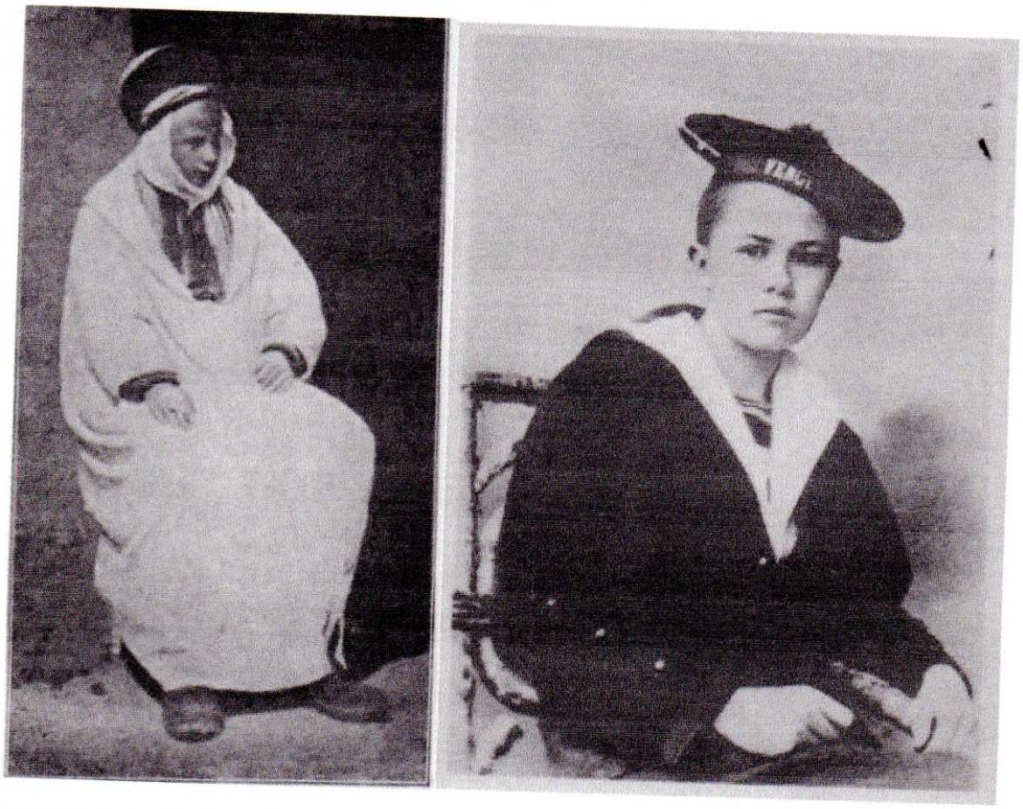

.54 Eberhardt, Isabelle. ***Au pays des sables 1896-1906***; adapté de textes reunis par René Louis Doyon; dessin d'Isabelle Eberhardt; édité par les Bourlapapey; Biblioteque numérique romande ; p 4

صورة إيزابيلا بلباس تقليدي جزائري

الملحق رقم (14)

LIEUTENANT-COLONEL FLATTERS

واد (1839م-1255هـ)، واغتيل بالقرب من بئر الغرامة في الصحراء يوم 16 فيفري (1881م-1299هـ)
وهو أحد منفذي فكرة السكة الحديد بالصحراء

عثمان حساني: مرجع سابق، ص 155

صورة الكولونيل فلاتر

قائمة البيبلوغـرافيا

المصادر:

1. أبو الحسن بن السيد. *المحكم والمحيط الأعظم*. ج3؛ تح عبد الحميد الهنداوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.

2. الإدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، أبو عبد الله. *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*؛ تح. مجموعة من الأساتذة، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م.

3. الدرعي ، أبو العباس أحمد بن ناصر. *الرحلة الناصرية (1709-1710م)*؛ تح عبد الحفيظ ملوكي، ط1، ج 1. أبو ظبي : دار السويدي للنشر والتوزيع، 2008-2009م.

4. دي دوماس، دوك. *الصحراء الجزائرية*؛ ترجمة قندوز عابد قوراية. الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع، 2013م.

5. فايريه، هنري. *مذكرات الطريق: رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية (1860-1861م)*؛ ترجمة عبد القادر ميهي، ط4، الوادي : مطبعة مزوار،2004م.

6. كام، جوزفين. *المستكشفون في إفريقيا*؛ تر: يوسف نصر. القاهرة: دار المعارف، 1983م

7. كوفي، جستون . *غراسة النخيل في سوف، مذكرة 1900-1901م*؛ ترجمة ميهي عبد القادر، ط1، الوادي : مطبعة مزوار، 2013م.

8. محمد العياشي، عبد الله . *الرحلة العياشية، (1661-1663م)*؛ تح سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط1، المجلد الأول، أبو ظبي : دار السويدي، 2006م.

9. ميهي ، عبد القادر. *الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم*، ط1، الوادي : دار الثقافة، 2014م.

10. ميهي، عبد القادر. *الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم*، ط1، الوادي : دار الثقافة، 2015م.

المراجـع:

11. بحوص، ملك . *ثورة أولاد سيدي الشيخ*، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004م.

12. بركات، حلمي. *المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي*، ط5، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996م.

13. بلاح، بشير. *تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1989م*. ج1، دار الجزائر، 2007م.

14. بالحميسي، مولاي. *الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني*، ب ط. الجزائر: الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، ب س.

15. بوشارب، عبد السلام. *الهقار أمجاد واتحاد*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، 1995م.

16. بوعزيز، يحي. *مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية*، ط ح. الجزائر: عالم المعرفة، 2009م.

17. بوعزيز، يحيى. *ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين*، منشورات المتحف الوطني للمجاهد: ج1

18. بوعزيز، يحي. *ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر*. طبعة خاصة، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

19. جلال يحيى. *السياسة الفرنسية في الجزائر 1830–1909م*، القاهرة: دار المعرفة، 2009م.

20. جمعية الانتفاضة 27 فبراير 1962م التاريخية بورقلة: التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة.

21. حاجي، فريد . *السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837–1937م)، المنطلق، السيرورة، المآل*. الجزائر: دار الخلدونية، 2013م.

22. درواز، الهادي . الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع، (1954–1962م). الجزائر: أرمومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م.

23. زغيدي، محمد لحسن: شخصيات نموذجية في المقاومة والإصلاح والحركة الوطنية والثورة التحريرية. منشورات الحبر، ط1، 2009م

24. سعد الله، أبو القاسم . *تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1854م)*، مج 3، ط 3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2004م.

25. سعيدوني، ناصر الدين . *دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني*، د ط، د س.

26. العربي، إسماعيل. *الصحراء الكبرى وشواطئها*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

27. العسلي، بسام . *المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي*، ب ط، دار النقاش للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.

28. عميراوي، حميدة وآخرون. السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1894-1916م). عين مليلة: دار الهدى ، 2009م.

29. عميراوي، حميدة. *قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث*. الجزائر: دار الهدى، 2005م.

30- فركوس، صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م

31. القشاط، محمد سعد: التوارق عرب الصحراء الكبرى، دار المحيط العربي، م ط، د س.

32. القشاعي، فلة موساوي . *الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)*، منشورات بن سنان، صدر بدفع من وزارة الثقافة، الجزائر

33. قنان، جمال. *قضايا ودراسات في التاريخ الحديث والمعاصر*، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1994م.

34. مختاري، صالح . *أسرار الاستيطان الأوروبي الفرنسي على الجزائر المحروسة*. 2004م.

35. المدني، أحمد توفيق . *كتاب الجزائر*، الجزائر: المطبعة العربية ، 1931م

36. منور، العربي. *تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر*، ب ط. الجزائر: دار المعرفة، 2006م.

37. مياسي، إبراهيم . *توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م)*. منشورات متحف المجاهد، 1996م.

38. مياسي، إبراهيم . *الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2009م.

مقالات الدوريات:

39. بن محمذن، محمدو. "الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى (الدوافع والعراقيل)". *مجلة العلوم الإنسانية*، ع 20، 2003م.

40. بوسعد، الطيب . "الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (الوادي نموذجا)". *مجلة الواحات للبحوث والدراسات*، العدد 15، جامعة غرداية ، 2011م.

41. تلمساني، بن يوسف: واحة وادي ريغ، دراسة وصفية من خلال تقرير فرنسي، حولية المؤرخ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الأبيار، الجزائر، العدد 3-4، 2005م.

42. عقون، محمد العربي. "الانثوغرافيا الاستعمارية، شارل فيرو نموذجا". *المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية*، ع 28، 2005م.

43. العيدشي، إبراهيم. "دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي". *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد 11، 2013م.

44. مريوش، أحمد. «التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار: 1916م». *مجلة المصادر*، ع 11، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، السداسي الأول، 2005م.

45. مياسي، إبراهيم . "أولاد سيدي الشيخ"، *مجلة الذاكرة*، عدد 3، 1995م.

46. مياسي، إبراهيم . «الصحراء الجزائرية من خلال الاستكشافات قبل وبعد الاحتلال». *مجلة المصادر*، ع 12، الجزائر 2005م.

47. نتائج ثورة 1871م، وأبعادها ومظاهرها، مجلة صادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ع 14، الجزائر، 2006م.

أعمال الملتقيات:

48. كاكي، محمد. «تاريخ الجنوب الشرقي الجزائري من خلال البعثات والكتابات الفرنسية»، *في: ملتقى حول السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية وردود الفعل الوطنية (1845-1962م)* ، جامعة غرداية 2-3 نوفمبر 2014م.

الدراسات والرسائل الجامعية:

49. حساني، عثمان. *البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*. مذكرة ماجستير، التاريخ الحديث، قسم التاريخ، 2006-2007م.

50. دحدي، سعود . *البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931م)*. رسالة ماجستير، التاريخ المعاصر: جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009-2010م.

51. زقب، عثمان: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005-2006م.

52. شافو، رضوان. *مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852-1875م)*. مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية: جامعة الجزائر، 2006-2007م.

53. شلالي، ضيف الله: دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر، الجلفة أنموذجا، ما بين 1857- 1862م.

54. غنابزية، علي. *مجتمع وادي سوف من الاحتلال إلى بداية الثورة التحريرية (1830-1954م)*، رسالة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر: جامعة الجزائر ، 2009-2009م.

55. كنوة، هبة. *نظرة الرحالة والمستكشفين الفرنسيين لمجتمع الجنوب الشرقي الجزائري (1844-1918م)*. مذكرة ماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية: جامعة لخضر الوادي، 2015-2016م.

وثائق أخرى:

56. مقدمة من مذكرة شارل دي فوكو: الأطماع الأوروبية في الصحراء وسياسة فرنسا في الهقار: الاهتمامات الاستعمارية في الصحراء.

بيوغرافيا:

57. دوافع الاحتلال الفرنسي لمنطقة تقرت، يوم 2017/05/18 على 22.57، على الساعة 7:48 متوفر على الرابط:

http://touggourt.kalamfikalam.com/t614-topic

58. سلاطين تقرت: يوم 2017/05/18 على 23.00 متوفر على الرابط:

http://touggourt.kalamfikalam.com/t592-topic،

المراجع باللغة الأجنبية:

.59 Bourcillier, Patricia; Isabelle Eberhardt . *une femme en route vers l'Islam*; Flying publisher; 2012

.60 Eberhardt, Isabelle. *Au pays des sables 1896-1906*; adapté de textes reunis par René Louis Doyon; dessin d'Isabelle Eberhardt; édité par les Bourlapapey; Biblioteque numérique romande

.61 Foureau, Fernand (1850-1914). *Excursion dans le Sahara algérien extrait du carnet de route*. 1883

.62 Hadouche Dris Leila Louise ; *le cas d'Isabelle Eberhardt* ; école doctorale pratique et théorie au sens ; doctorat littérature et civilisation française ; soutenue 2010

63. Kershaw ,Elizabeth .*the Nomad the diaries of Isabelle Eberhardt Introductin by Annette Kobak*; Publisher by interlinele pu group; 2003

64. Philebert, Charles (1828-19..). *Création de postes sur la route du Soudan, par le général Philebert*. 1890